"الكتاب الحائز على جائزة **جابرييل جارسيا ماركيز** لمنطقة أمريكا اللاتينية 2015"



اعترافات مؤجلة

ماجيلا بودوين

ترجمة: شرقاوي حافظ



قصص قصيرة مترجمة



اعترافات مؤجلة

اعترافات مؤجلة

تأليف: ماجيلا بودوين

ترجمة: شرقاوي حافظ

تحرير: إيزيس عاشور

مراجعة لغوية: محمد حامد بكر

الطبعة الأولى: أكتوبر 2019

رقم الإيداع: 2019/15337

الترقيم الدولي: 9789773195083

تصميم الغلاف: إسلام علام



60 شارع قصر العيني - 11451 - القاهرة

ت 27921943 - 27954529 فاكس 27947566

www.alarabipublishing.com.eg

First published as *La composición de la sal* in 2014

تابعونا لمعرفة أحدث إصداراتنا






@alarabipd

ماجيلا بودوين

اعترافات مؤجلة

مجموعة قصصية من بوليفيا

ترجمة: شرقاوي حافظ



بطاقة فهرسة

بودوين، ماجيلا

اعترافات مؤجلة: مجموعة قصصية/ تأليف ماجيلا بودوين؛ ترجمة شرقاوي حافظ.

- القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، 2019.

ص؛ سم.

تدمك 9789773195083

1- القصص الإسبانية

أ- حافظ، شرقاوي (مترجم)

ب- العنوان 863

إلى أبي، لأنني معه

أصبحت في السادسة من عمري مرة أخرى؛

ست سنوات من الخلاص المجيد.

وإلى "سيرجيو ت." وتوافقه غير الكامل معي.

اعترافاتٌ مُؤَجَّلةٌ

قصصٌ قصيرةٌ لـ"ماجيلا بودوين"

تصنيف الأنواع الأدبيَّة ما هو إلا اتِّفاق فرضه الأكاديميون والناشرون، على الرغم من أننا كقُرَّاء نعلم أن هذه الأنواع تعكس حقيقة أدبيَّة بديهيَّة؛ وهي أننا حين نقرأ قصَّة قصيرة نُدرك أننا لا نقرأ رواية. وتكمُن الصُّعوبة في تحديد هذه التَّصنيفات الأدبيَّة المُتَّفق عليها.

تُعتبر القصَّة القصيرة نوعًا غامضًا، وربما أكثر من الرِّواية، ومن المقال. فهي أقل تنميقًا من الرِّواية، وأقل رسميةً من المقال، من حيث دورانها حول واقعة بعينها مع تركيزها على حدث واحد، أو شخصية واحدة. فهي تُشير إلى التَّسلسُل الهرمي الأنيق لفن الحكاية الرَّمزيَّة، أو النوادر. إنها قصيرة، نعم، ولكنها تهدف إلى تصوير أو احتواء عالم بأكمله.

ومن المُؤكَّد أن القصص القصيرة لـ"ماجيلا بودوين" مختلفة؛ فمن خلال المُشاهدة الدقيقة، تكشف أسرارًا، وتُشير إلى أشياءَ أكبر من القضايا التي تطرحها. وعلى الرغم من أن "بودوين" تبدو أنها تعرض لنا قصصها بصراحة واضحة، فإننا نستشعر، نحن القُرَّاء، كتمانًا عميقًا وراء

كلماتها، ودوافع مُقيَّدة، وأسبابًا خفيَّة، وأُناسًا وأماكنَ تُفضِّل "بودوين" ألا تذكرها. وإن كان المظهر الواضح والصريح والمفتوح لقصصها يخدعنا، فإنه يخدعنا بمهارة تجعلنا نتقبَّل هذا الخداع. فالبيئة التي تبتكرها خطيرة، وكئيبة، وعاصفة. هناك لمحاتٌ من الدُّعابة، غير أن ابتساماتها ساخرة، مُفعمة بالتَّهكُّم وتوجيه الاتِّهامات. إننا نصل إلى آخر صفحة من قصَّة "بودوين" لنسأل أنفسنا: "ماذا حدث بالضبط؟"، ما القصَّة وراء هذه القصَّة؟ إننا نفهم تعقيدات الحبكة تمامًا، من البداية إلى النهاية، وزمان ومكان القصَّة، وأصوات الرجال والنساء، الذين يملؤون صفحات "بودوين"، ومع ذلك، هناك شيء رئيسي غاب عَنَّا. شيء هرب منا. ما الذي لم نفهمه؟ ما الذي كان ينبغي ألا يهرب مِنَّا؟

يُلاحظ "بورخيس"، رائد القصَّة القصيرة، (في موقف مُغاير) أن القيمة الجماليَّة هي البداية لبَوْحٍ لا يحدث". وهذا الوعد المُؤَجَّل هو الميزة المُحدِّدة لأسلوب سرد "ماجيلا بودوين" الدَّقيق.

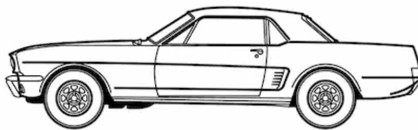
"ألبرتو مانجويل"

كريسماس 2015

نيويورك

شيءٌ للعشاء

لـ"فاكوندو"



عندما انتهى كل شيء، جعلتنا أُمُّنا نعدها بألَّا نذكر هذا الموضوع مرَّة أخرى إطلاقًا. لكننا لم نـوفِ بوعـدنا. لقـد ربَّتنـا عـلى ألَّا نكـذب مُطلقًـا. أعتقد أن كل الأُمَّهات يفعلن ذلك، ولكن بالنسبة لها "ألَّا تكذب" تعنـي - وهذا شيء استطعت أن أقنع به أخي بعد سنوات طـوال - لـيس فقـط أن تقول الحقيقة دائمًا، بل أن تلتزم بها على الأقـل. إنهـا تُـؤمن بـأن مـن الخطأ أن تكذب على الآخـرين، والأسـوأ أن تكـذب عـلى نفـسك. والـذي تبغضه أُمِّي بشدَّة هو أن تكـذب كي تُنقـذ نفـسك، أو أن تـسلك طريقًـا سهلًا للهرب، أو أن تُظهر نفسك بشكل أفضل. كيف أصوغها؟ إنها تعتقد أنه من الأفضل أن تحترق بنـار الجحـيم صـادقًا عـن الـذهاب إلى الجنَّـة كاذبًا.

لقد رأينا لونها يشحب من الخجل أكثر من مرَّة؛ لأن الإخـلاص يمكـن أن يكون مُعَوِّقًا، ومع ذلك تلتزم بقول الحقيقة. أُمُّنا مُمَرِّضة، أعنـي بـذلك أنهـا باردة كالثلج. فهي تعمل باستمرار في الليل في بيوت الناس، حيـث إن الأجـر يكون أفضلَ، وإن كـان لا يكفـي في النهايـة، وأقـل اسـتقرارًا. بالنهـار تعمـل

في مستشفى حكومي، حيث المُرَتَّبات حكومية جدًّا، ولكن من بعيد تبدو وكأنها مستشفى خاص جدًّا. وهذا لم يُضايق أُمِّي بقدر ما ضايق زميلاتها المُمَرِّضات. على الأقل لديها وظيفة، وتحب أن تُذكِّرنا دائمًا؛ لدينا كثير يستحقُّ الحمد، وهو ما حاولت إقناع أخي به، لكنه اتخذ من مشاكسته إياها هواية؛ فكره حضور الحفل الصيفي، الذي يحضر فيه جميع الأطبَّاء، والمُمَرِّضات، والإداريين، والأخصائيين، والمُحامين، وحتى طاقم الحراسة، أطفالهم معهم.

اعتادت أُمِّي أن تأخذنا معها إلى الحفل على الرغم من أن ستَّة أطفال يسببون الضوضاء. وجود ستَّة أطفال، بوجه عام، يُشكِّل صعوبة في تناول الطعام والمحافظة على النظام. وهذا هو السبب وراء عدم دعوتنا لمنزل أي شخص، وأيضًا السبب وراء ترك أُمِّي بابنا مفتوحًا لكل فرد. لا يهم عدد الأطفال الأكثر من اللازم الذين يزورون منزلنا لتناول العشاء، فهي دائمًا تُدبِّر أمورها، كما لو أنها تستخدم السحر كي تطعمنا جميعًا. على أي حال، لا يفوتنا مُطلقًا حفل الكريسماس في العمل، أوَّلًا؛ لوجود أطنان من الطعام، ثانيًا؛ لأنها تعتبر نُزهة، ثالثًا؛ وهو الأهم، لأنهم يوزعون هدايا. أُمُّنا المسكينة، تمطر عليها الهدايا من السماء، كنوع من العلاوات البائسة. أما نحن الأطفال، فلن نكذب أبدًا، نجد دائمًا المتعة في محاولة الاختلاط، كالماء والزيت، بالتَّسكُّع مع أطفال الأطبَّاء في الحفل.

أحب أخي أن يسبب لأُمِّنا الحرج، لكي يختبرها وكأنه يقول لها: "لنرَ كيف تمثلين دور الشهيدة هذه المرَّة!". لقد أخبرني، أكثر من مرَّة، بل اعترف لي بأنه سيئ حتى دون أن يحاول ذلك. ومن النتائج المترتبة على أمانة أُمِّي الكاملة هي أننا أصبحنا قادرين على التنبؤ بردود أفعالها. فيما يتعلق بتربيتنا، لم تكن تتعامل بالنظرية، ولا تُؤمن بالحوارات. لم تكن تمنعنا من قول أي شيء، حتى لو ندمنا عليه بعد ذلك. ربما صفعتك على أردافك مرَّتين، واكتفت، أو رمتك بما في متناول يدها؛ فرشة شعرها، أو الملعقة الخشب، أو نشَّابة الفطير، أو الطَّاسة، أو برتقالتين من سلَّة الفاكهة.. لكنها عادة ما تخلع الشِّبشب وتضربك به على مُؤخِّرتك، ضربتين. إنها فعلًا لا تؤلم بشدَّة، على الأقل هذا ما أتذكَّره، لأن عقاب أُمِّنا كان بالصياح أكثر من أي شيء آخر. ولأننا أيضًا، في أعماقنا، نعرف أننا نستحق ذلك، مما كان يخفف من وقع الضرب.

لم تكن أُمِّي من النوع الذي يحمل ضغينة، على عكس أخي، الولد الوحيد في البيت. فنحن البنات ننسى غضبنا بسرعة، لكنه يظل غاضبًا ويصيح فيها: "أكرهكِ!". يكررها المرَّة تلو المرَّة، لكي يسبب لها الأذى، لأنه أكثر واحد تلقَّى ضربًا. الأمر الذي، بالمناسبة، صار تدريجيًّا لا يبدو لنا ظلمًا، وأصبح مجرد حقيقة أخرى في حياتنا. أعلم أنه ليس من الممكن أن يكون هو الطرف المُذنب في كل مخالفة تحدث بينما نكبر. والحقيقة أن أُمَّنا توقَّفت أخيرًا عن سؤال مَن فعل ذلك؛ لأن الإجابة التي تتلقَّاها دائمًا هي

الإجابة نفسها. وغالبًا ما كانت تريح بالها وتتناول الملعقة الخشب. كان أخي مثل أُمِّنا تمامًا، باردًا كالثلج. ومثلها أيضًا في أنه لا يلين إلا بعد مدة. نادرًا ما يبكي، حتى عندما ماتت. أتذكَّر، عندما كنت طفلة، أنه بكى مرَّة واحدة فقط. كما ترى، إنه لا يعبأ بأن يتلقَّى صفعات على أردافه لو تهيَّأت له فُرصة الانتقام. وحدث ذلك في إحدى حفلات المستشفى للكريسماس. لقد أخبر بعض أطفال الأطبَّاء بأن أُمَّنا تضربنا. لم يذكر التفاصيل، ولكنه كان واضحًا في مفهومه، فقال وهو يشير إلى فخذيه من الخلف:

- مممم، نعم ماما تضربنا.

فضحك الأطفال الآخرون، وأصبح أخي لافتًا للنظر، فقال لهم بجرأة:

- إذا كنتم لا تصدقونني اذهبوا إليها واسألوها!

تبادل الأطفال النظرات، وابتسموا بخبث. يمكن أن يكون الشر نقيًّا في طفل في الحادية عشرة. لم يُظهر أخي أي رحمة. راح يراقب الأولاد وهم يسرعون إلى مجموعة من الكبار، حيث تنخرط أُمُّنا في محادثة، يحيطها الأطبَّاء والإداريون، وكل الشخصيات المهمة في المستشفى. فقالوا بصوتٍ عالٍ وهم يضحكون:

- سيدتي! هل صحيح أنكِ تضربين ابنكِ؟

فشعر الكبار بصدمة ألزمتهم الصمت. احمرَّت أُمِّي كالبنجر، لدرجة أننا رأيناها من بُعد وهي تترنَّح، ولكن ليس لوقت طويل. فقالت لهم بوقار وثقة:

- بالتأكيد، عندما يتطلَّب الأمر ذلك، ينال "الضربة القُصوى".

فضحك جميع الكبار. عندما عُدنا إلى المنزل، اعتقدنا - نحن البنات - أنه سيتلقَّى على الأقل عشر صفعات بالشِّبشب، ولكن كل ما قالته:

- حسنًا، لقد فعلت ما أردت، فالتأخر في الانتقام يجعل الضربة أشد قساوة، أليس كذلك؟

لم يبدُ عليها الضيق أو الغضب. ولم يظهر انفعالها إلا في عينيها وشفتيها اللتين ارتعشتا قليلًا. وعلى الرغم من أنه لم يُعاقَب، راح أخي يبكي طوال الليل، بهدوء شديد، كما لو أنها ضربته حتى ازرقَّ جلده. لقد سمعته من الطابق العلوي من السرير المزدوج. سمعناه نحن البنات الخمس وهو يبكي. لم يكن هذا أول ولا آخر مقلب يدبره أخي. لقد تحمَّلت أُمُّنا مقالبه، ثم أخذت بعد ذلك تحكيها بحماس بالغ، فخورة بجرأته. إن الأم فقط من تستخلص شيئًا لطيفًا من أفعال أطفالها الشريرة. بالنظر إلى الوراء الآن، أعتقد أن الأسلوب القديم الذي استخدمته

أُمُّنا في تربيتنا هو الذي مهَّد الطريق لسُمعته السيئة التي تسبقه. في الحقيقة، أصبحت تلك نقطة شرف له يؤكدها.

إنها لم تحتفظ قط بزوج لفترة طويلة. أعتقد أنها انتهت باستمتاعها ببطولة كونها أُمًّا وحيدة؛ فقط هي وأطفالها في مواجهة العالم. ولكن الحقيقة – "مثلما يقول الكتاب" كما اعتاد أخي أن يصفها - كانت أُمُّنا أيضًا خائفة من الوحدة. إنها استمدَّت القوة والدعم من تعاطف الآخرين معها. فالكل كان معجبًا بها لأنها - بجانب أطفالها الستَّة - كانت دائمًا تعتني بشخص متكاسل في المنزل. خمسة أزواج على التوالي، خلال السنوات التي عشناها في المنزل. كانت كلمة "أب" لا معنى لها في طفولتنا. استخدمها أخي للمرَّة الأولى عندما بلغ السابعة. فجأة أصبح يائسًا، وكئيبًا، وفقد شهيَّته للأكل. سألته أُمُّنا، وقد وضعت شفتيها على جبينه لتعرف الحرارة:

- ماذا بكَ اليوم؟

فأجابها، ناظرًا إلى الأرض:

- لا شيء.

- لا شيء؟ إذًا لماذا أنت هادئ هكذا؟

- أفتقد بابا.

تردَّدت، ونظرت إليه وفي عينيها إحساس بالذنب، ذهبت وأحضرت له بعض الجيلي. أرى أنه لو قام بهذه الخدعة معها مرة أو مرتين، لربما انْطلَتْ عليها، لكنه دائمًا ما يبالغ في كل شيء. ففي أحد الأيام، واجهته أُمُّنا، التي لم تكن بطيئة الفهم بأي شكل من الأشكال، وصاحت فيه:

- أنت كاذب! إنك بالكاد تتذكَّر أباكَ!

- طبعًا أتذكَّره.

- إذًا، فقد حان الوقت لكي تنساه.

استمرَّ أخي في لعبه بالسيارة اللعبة كما لو أنها لا تتحدث معه. لم تثر عليه أمي، فأعصابها باردة للغاية. أمسكته من ياقته وقالت له:

- اسمعني، ربما أحبَّك أبوكَ، ولكنه رحل. وأنا مَن يُغذِّيك ويلبسك، وهذا هو الواقع، فهمت؟

- نعم، أعرف ذلك.

قال ذلك وابتسامة كبيرة مرتسمة على وجهه، ثم انصرف جريًا.

تكره أُمُّنا الكذب بشدَّة؛ لدرجة أنها وضعت فلفلًا أحمرَ حارًّا في فم أخي ليتوقَّف عن قوله إنها طبيبة، بدلًا من مُمرِّضة. تصادف أن رأت مُدرِّسته أُمَّنا في المستشفى، فسألته أمام الفصل كله إذا كانت أُمُّنا تعمل هناك أم لا. خيَّم الصمت على جميع التلاميذ الآخرين، وابتلع أخي ريقه بصعوبة، كما يفعل دائمًا عندما يكون على وشك أن يقول كذبة، وقال وقد أومأ برأسه:

- نعم يا أستاذة، إنها تعمل طبيبة.

أحدثت المُدرِّسة هرجًا ومرجًا حوله، مُطعِّمةً مديحها بنوع من الاهتمام الذاتي، بينما صرَّ التلاميذ الآخرون على أسنانهم حسدًا، وبدأ أخي يشعر بضيق في صدره. أخبرني بأنه "كالخنجر". بعد أيام عديدة، عندما طلبت المُدرِّسة من أُمِّي العون في فحوصات طبية، كادت تنهار من الغضب.

صاحت أُمُّنا:

- إذا كذبت مرَّة أخرى سأجعلك تأكل الفلفل الحارَّ.

مضغ أخي الفلفل الحار دون أن يذرف دمعة واحدة.

عندما بلغ أخي الثالثة عشرة، تعلَّم القيادة. لا أتذكَّر مَن علَّمه القيادة، ولكن أتذكَّر أنه كان يُسخِّن سيارة أُمِّنا "الرِّينو" القديمة. يحب أن يسير بها خطوتين إلى الأمام ويعود مرَّة أخرى. إنه يوافق على أن يذهب معها إلى

السوق؛ لأنها تسمح له بأن يأتي بالسيارة من الجـراج، وأن يـأتي بهـا أمـام المنزل. يعدها أخي وهو يمسك بها من ذراعها:

- عندما أتعلَّم كيف أقود بمهارة، سـوف أوصِّـلكِ إلى مرضـاكِ بالليـل، وأنتظركِ في السيارة حتى تنتهي من عملكِ.

فتُعطيه أُمُّنا نصف ابتسامة يعلوها مزيج غريب من التشاؤم والحذر من تصديقه، فيخبرها بثقة كبيرة:

- تُراهيننـي؟ دعينـي آخـذ الـسيارة وسأُريكِ، لا أحـد يقـود الـسيارة بمهارة أفضل مِنِّي.

- سننظر في ذلك الأمر.

وبالطبع "سـننظر في ذلـك الأمـر" مختلفـة تمامًـا عـن "لا تـذكر هـذا الموضوع مرَّة أخرى". فبقدر ما يهم الأمر أخي، يتضمَّن ردُّ أُمِّنا في طيَّاتـه وعدًا قريبًا حقيقيًا كلـما زاد هـو مـن عنـاده. صـار تعلُّـم القيـادة همَّـه الوحيد في الحياة. راح يقضي سـاعات في التـدريب عـلى الكنبـة في غرفـة المعيشة، يتخيَّل عصا "ناقـل الـسرعات"، ويقـوم بالغيـارات. ويـتكلم بـلا حدود عن المحركات 4 "سلندر"، و6 "سلندر"؛ وأبطال سباقات الـسيارات العالمية، مثل "فانجيو"، و"أسكاري"، و"فارينا"، و"نيكي لاودا"، و"إيمرسـون فيتيبالادي"، و"آيرتون سينا"، و"شوماخر"، وغيرهم؛ وعـن مميـزات ناقـل

السرعة اليدوي عن الأوتوماتيكي. سيارة أُمِّنا بها عصا "ناقل السرعات"، كان يحبها قليلًا. يقول لها:

- عصا "ناقل السرعات" تلك هي الأفضل!

فتضحك. سار حذوه كل من "مارلون" و"جوزيه" صديقيه. لقد غرس فيهما عاطفته للقيادة، بالإضافة إلى استهتاره... "جوزيه" ابن مدرب خيول من البرازيل. كافحت أسرته لتقف على قدميها، مثلما فعلت أسرتنا. لا، بل وأكثر. أحيانًا يتمشَّى "جوزيه" في مطبخنا مُتضوِّرًا من الجوع، فيلتهم أي شيء في طريقه، كأنه سرب من النمل الضخم. لا يمتلك أبوه سيارة، إنه رجل لطيف، مستعد دائمًا لمدِّ يد العون. أحبَّته أُمُّنا. أما زوج أم "مارلون"، من ناحية أخرى، فكان حقًّا شيئًا مُميَّزًا، على الأقل هكذا قالت أُمُّنا بصوت هامس؛ لأنها تبذل ما في وُسعها كي لا تتكلم عن أي شخص بسوء. لم تكن تسمح لنا بأن نرُدَّ على ما يقوله الجيران عنه؛ لأننا لا نمتلك دليلًا. كل ما أقوله إن زوج أم "مارلون" يمتلك سيارة "كرايسلر ليبارون" بناقل حركة يدوي. قال إنها كانت تاكسي، ولكن لم يره أحد يستخدمها هكذا. لم ينقصه المال يومًا. يقضي أيامه يتنزَّه بسيارته، دائمًا مع المجموعة نفسها، ليقضي لياليه في الشوارع يسكر. كان قد ضرب "مارلون" وأُمَّه، ليس بالشِّبشب، ولكن بطريقة من المستحيل وصفها. عالجتهما أُمِّي ذات مرَّة في المستشفى. ومثله مثل "جوزيه"،

يتضوَّر جوعًا ويلتهم ما في طريقه، ولكن بعدما يأكل في بيته. كـان يقـول له زوج أُمِّه:

- اذهب وكُل.

فيأتي "مارلون" إلى منزلنا ليتناول الطعام، ولا تُمانع أُمُّنا وتقول:

- طالما جاء إلينا، فهذا يعني أنه يحتاجه. فليأخذه، وأهلًا به.

ذات مرَّة، أتى لتناول العشاء في منزلنا. بعـد أن انتهـى "مـارلون" مـن غسيل الـ"ليبارون"، أخبرنا:

- خسارة أن يكون لديك سيارة ولا تستخدمها.

فالتمعت عينا أخي، أما أُمُّنا فقد قالت:

- انسَ السيارة، وتعالَ كُل.

تنظر إلى "مارلون" بشفقة حينما لا يكون ناظرًا إليها. فوجْه "مارلون" دائمًا مُنَكَّس إلى أسـفل حتـى حيـنما يـضحك. أصـبحت الـسيارة هاجـسًا للثلاثة. بدأ ذلك بغسلهم السيارة الـ"ليبارون" في أوقـات مـا بعـد الظهـر بقدر ما يمكنهم، ويعني هذا أنه في أي وقت ما بعد الظهر عنـدما يخلـد زوج أم "مارلون" للنوم بدلًا من ذهابه إلى الخارج للتَّنـزُّه. لم تحـب أُمِّـي أن تـرى ابنهـا يطيـع أوامـر أي شـخص آخـر. وفي الحقيقـة، إنـه يفعـل

ذلك لأنه يريد هذا. كلهم يريدون ذلك. رفعوا غطـاء الـسيارة، واختـبروا الزيت، والفرامل، والعـادم، واختـبروا حتـى الآليـات الخفيـة في الأبـواب. يقضون الـساعات جالـسين عـلى الرصـيف، ولا يلمـسون حتـى الـسيارة، يتفحَّصونها فقط، مُسترشدين بحدس أخي و"مارلون" اللذين يعملان معًا مُساعدين في مركـز صـيانة سـيارات في عُطلـة الدِّراسـة. يحـاول أخـي أن يُقوِّي ثقـة "مـارلون" في نفـسه بإعـادة عبـارات أُمُّنـا المُـشجِّعة، ويُـومئ "مارلون" في صمت. منذ فترة طويلة، كانت الـ"ليبارون" أنظـف سـيارة في العمارة. فكانت أُمُّنا تلومه:

- ماذا ينبغي أن أفعل لأجعلكم تغسلون سيارتي هكذا؟

فيرد أخي بصوته الجريء:

- ادفعي لنا.

- أدفع لكم؟ كم؟

- مبلغًا كبيرًا.

- أووووه حقًا؟ إذًا انسَ الموضوع.

نعلم نحن البنات أنه يكذب، ونعلم أن أُمَّنا لا يمكن استغفالها. فزوج أم "مارلون" لا يدفع لهم أكثر من كلمة "شُكرًا". في الواقع هو مـن النـوع

الذي يكلفهم فقط ميزة واحدة، وهـي أن يلمـسوا سـيارته. إنـه يُـضايق "مارلون" ويُهينه، ولا سيما أمام أصدقائه. يصيح في "مارلون" وهو يغـسل الجزء الخارجي:

- أسرع! أسرع يا غبي!

فيُسرع "مارلون"، ويكمل هو إهانته:

- أسرع يا معتوه! أنت عديم الفائدة مثل أُمِّه.

لكم يحلـم "مـارلون" بقتلـه. ذات مـرَّة، وبـشهادة أخـي و"جوزيـه"، خطف الرجل سروالًا نسائيًّا داخليًّا من المقعد الخلفي، وشمَّه، وألقى بـه في وجه "مارلون" قبل أن يدُسُّه في جيبه، زمجر قائلًا:

- لا تُخرج هذه الأشياء من سيارتي، فهمت؟

فعل أخي و"جوزيه" ما في وُسعهما ليلتفتا بعيدًا، بينما كبح "مارلون" جـماح غـضبه؛ لأن الـشيء الوحيـد الـذي يهـم هـو تعلُّـم القيـادة، والـ"ليبارون" هي وسيلتهم لهذا.

صارت مهمة أخي الوحيدة في الحياة هي تعلـيمهم القيـادة، ومهمـتهما الوحيدة ألَّا يعلم أحد بذلك. لقـد خطَّطـوا بـشكل جيـد، فقـصروا أنفـسهم على رحلات قصيرة، مشحونة بالجسارة والشجاعة. في يوم الكارثة، أدار أخـي

مفتاح التشغيل، فقفزت السيارة إلى الأمام بارتجاج؛ لأن أخي نسي أن يجعل عصا "ناقل السرعات" على وضع "المور". فأدرك خطأه، وأوقف الموتور، ثم أخذ نفسًا عميقًا ليهدأ.

- غبي!!

قالها بصوتٍ عالٍ. تأكَّد من أن عصا "ناقل السرعات" على وضع "المور" قبل أن يبدأ التشغيل، واشتغلت هذه المرَّة. بدأ على السُّرعة الأولى، وانطلق ببُطءٍ، مُتقدِّمًا نحو عشرة أقدام. ثم عاد إلى الخلف تاركًا السيارة حيث كانت في البداية. فعل صديقاه كما فعل. جاء "جوزيه" بعده، كان سائقًا طبيعيًّا. أما "مارلون"، للأسف، فلم يكن كذلك. زمجرت السيارة بمجرد أن تولَّى عجلة القيادة؛ لأنه حاول قيادتها وقدمه ضاغطة على "الفرامل"، وغيَّر "ناقل السرعات" على السُّرعة الأولى. قال أخي مُستجمعًا كل قوَّته:

- هيَّا، دعنا نفعلها.

فاعتدل "مارلون" بهدوء على مقعد القيادة، بينما الصديقان الآخران يُشجِّعانه. تيقَّن "مارلون" أنه يجب أن ينطلق، فتمتم عندما نجح في أن يضبط السيارة على السُّرعة الأولى:

- هيَّا، الآن.

وأخذت رُكبتاه في الارتعاش. ضحك "جوزيه" قائلًا:

- مهلًا، تبدو وكأنك ستفقد قدميك.

كان الشارع خاليًا كما هو مُعتاد في فترة ما بعد الظهر. لم يـنجح شيء في حمايتهم من أشعة الشمس الحارقة. قمـيص "مـارلون" مُبلَّـل بـالعرق عند إبطيه وصدره، وجبينه يتصبَّب عرقًا. وقال بصوت قوي:

- آن الأوان، إننا على استعداد.

فنظر "جوزيه" وأخي كل منهما الآخر. وعلا صوت "مارلون" وبإصرار:

- هيَّا، أم أنكما خائفان؟

يؤدي الشارع الذي يقع خلـف شـارعنا إلى مدرسـة القواعـد، وقـسم الشرطة، لذا فإن حركة المرور تزدحم في ساعات الذروة، ولا سيما في وقت الانصراف، عندما تعجُّ بالأطفال والـسيارات المركونـة. فقـرَّر "مـارلون" أن ينتهز الفرصة وينطلق. وراح يصيح وهو يضرب عجلة القيادة بكفِّه:

- مَن مِنَّا الخائف؟

قوبلت كلماته بالصمت. فوجد نفـسه للحظـة وحيـدًا. فـصاح أخـي، وقد جاء ليُساعد "مارلون":

- مَن منكم خائف، يا أغبياء!

فصاح الثلاثة:

- لا أحد!

شعر أخي بالقلق قليلًا، على الرغم من أنهم ناقشوا هذه اللحظة مرَّات عديدة، ففكرة الطريق المفتوح دعته لذلك. إنه المصير الذي حلموا به. بعد بداية لا بأس بها، انطلق بعيدًا عن الرصيف برشاقة، ولوَّحوا لجارتنا "ميكائيلا" التي وقفت في محلها. إنها صديقة أُمُّنا، لذا أيقن أن أُمُّنا ستعرف عاجلًا أم آجلًا. نقل إلى السُّرعة الأولى، ومن الأولى إلى الثانية في اللحظة التي بدأ فيها يضغط على "دواسة البنزين" مما جعل حركة النقل مهزوزة. سار بها بسلاسة حول العمارة، وأبطأ ليسمح لعربة نقل بالمرور، واستدار يمينًا، ودخل شارعنا الجانبي، وفرمل فجأة عند الرصيف. كانت ساقاه ترتعشان أيضًا، اعترف لي بذلك فيما بعد. كان "جوزيه" التالي، الذي لم يأمل في أن يكون الأذكى، أو الأفضل، أو الأكثر جرأة، فصاح فجأة:

- أنا مُتوتِّر!

ولكن لم يستجب أحد. لم يبدأ "جوزيه" بتشغيل السيارة الـ"ليبارون" بسلاسة، ولكنه شغلها وسار بها حول العمارة برزانة كما لو كانت عربة يجرُّها حصان، دون حتى أن ينقل السُّرعات. عندما تجاوز

مدرسة القواعد، كان الشارع مملوءًا بالسيارات المركونـة، ولكـن لم يكـن هناك أطفال على مرمى البصر.

أخذ أخي نفسًا عميقًا. استمرَّ "جوزيه" في رحلته حول العمارة بـبُطءٍ لا نهائي، وأوقف السيارة وخرج منها قفزًا كما لو أنه دُفع منها. قال:

- يدي غارقة بالعرق!

وراح يُجفِّف يديه في بنطلونه الجينز. فنظر أخي إلى وجهـه، وانفجـر ضاحكًا. في الواقع، كانت ضحكةً متوترة.

التالي هو "مارلون"، لم يبدُ مُتحمِّسًا أو واثقًا بعد الآن. قـال أخـي إنـه كان ساذجًا وبدا وكأنه سيتقيَّأ، فأخبره أخي:

- يمكننا أن نتوقَّف الآن، إذا أردت.

لكـن "مـارلون" لم يـتردَّد، واسـتبدل الأمـاكن مـع "جوزيـه"، لم يأخـذ أي نفس عميق، ولم ينقل سرعة السيارة من السرعة الأولى إلى الثانية، ولم يفعل أي شيء من هذه الأشـياء التـي مارسـوها بحـرص. ولم يرشـم الـصليب عـلى جسده حتى كما يفعل ثلاثتهم دائمًا قبل تشغيل السيارة. كل مـا فعلـه هـو أن أخذ المفتـاح خطفًـا. قفـزت الـسيارة إلى الأمـام، ولكنهـا بـدأت تـشتغل. تسارع "مارلون"، واسـتعدَّ للغيـار. وأعطـى إشـارة بأنـه سـيتَّجه إلى اليمـين،

وارتسمت في عينيه النظرة نفسها - كما أخبرني أخي فيما بعد - التي أثارت كثيرًا من العطف في أُمِّنا. صاح "جوزيه":

- أبطئ يا رجل، ستقتلنا كُلَّنا!!

بدلًا من الإبطاء، أسرع بالسيارة وهو يدخل الدَّوران. زمجرت السيارة، وارتفعت، وبالكاد تفادت أوتوبيس، وموتوسيكل وتاكسي، وحتى عربة بحصان. ثم فجأة انشقَّت الأرض عن امرأة، وقفت في وسط الطريق، وتمسك بطفلين في يديها. لقد فات الأوان على أن يدوس على الفرامل. أدار أخي عجلة القيادة جهة اليمين بعنف. وأمسك "جوزيه" بالمقعد الأمامي، وتشبَّث "مارلون" بلوحة القيادة. اصطدمت مُقدِّمة السيارة في حائط قسم الشرطة، تساقط الطوب الأحمر من الجدار على غطاء السيارة المُنبعث منه الدخان، وقد تكوَّر مثل كُرة من الورق. استدار "مارلون" ليتأكد من أن أخي و"جوزيه" ما زالا على قيد الحياة. بدت عيناه كأنهما خرجتا من محاجرهما. فغر فاه دون أن ينطق بكلمة. دفعه أخي إلى خارج السيارة ثم قفز هو.

أخبره:

- لا مفر، لن تتركنا وتهرب الآن!

كان "جوزيه" أكثر الثلاثة تماسُكًا، قال:

- اهدأ، الشرطة قادمة.

في تلك اللحظة، دقَّ جرس الانصراف. وفي لحظة وجدوا أنفسهم مُحاطين بصيحات الكبار وصرخات الأطفال. كل ما كان موجودًا في مجال رؤية أخي هو إيماءات "جوزيه"، ومقاعد السيارة المُعرَّضة للعيان عن طريق الأبواب المفتوحة، وبُقعة البلل الكبيرة التي على جينز "مارلون"؛ كان هذا ما تبقَّى من خوفه، وأيضًا من شجاعته. سألت الشرطة مَن كان يقود السيارة وقت الحادث. لم يزل "مارلون" لا يستطيع الكلام. أما أخي فقد أجاب بسُرعة وبشكل آلي، بالطريقة نفسها التي أجاب بها أُمَّنا عندما استجوبته في المنزل:

- أنا.

صوته مُرتعش، ابتلع ريقه بصعوبة. عندما أحضرت الشرطة الأولاد إلى قسم الشرطة، أمطروهم بالأسئلة، التي أجاب عنها الأولاد الثلاثة بلا تردُّد، كما لو أنهم لم يتعلَّموا قط من التليفزيون أن من حقِّهم أن يظلوا صامتين. فبسُرعة أقرُّوا بمالك السيارة. سجَّل الضابط المسؤول ملكية زوج الأم بعدما أملاه "مارلون" الاسم كاملًا. واعترف الثلاثة بأنهم قادوا السيارة حول العمارة بالتناوب، فقال الضابط بصوتٍ عالٍ:

- من دون ترخيص!

كرَّر أخي بأنه هو الذي كان يقود السيارة عندما اصطدمت، وأنهم لم يأخـذوا الـسيارة مـن قبـل مُطلقًـا. سـجَّل الـضابط هـذا، وأضـاف: "دون إصابات بشرية". أعلنت الـشرطة عـن نيَّتهـا مـصادرة الـسيارة. مـلأ هـذا الخبر "مارلون" باليأس:

- يا للهول! سيقتلني.

سجَّل الضابط ذلك في دفتره الصغير، وذلك عندما فقد أخي أعـصابه، وقال لـ"مارلون":

- لن تموت، وتوقَّف عن البُكاء أيها الأحمق.

كان الحي في حالـة صـخب؛ لدرجـة أن أُمِّـي وأنـا، بعـدما عُـدنا مـن المستشفى في السيارة "الرِّينو"، لم نـذهب إلى البيـت مُطلقًـا. الكـل كـان يتحدَّث عن ذلك. لوَّحت "ميليسيا" لأُمِّي فتوقَّفنا أمام محلِّها. وكما توقَّـع أخي، حكت كل شيء فورًا، بالتفاصيل. اتَّجهـت أُمِّـي في الحـال إلى قـسم الشرطة وهي تُردِّد طوال الطريق:

- يا رب.. يا رب!

أحسستُ بأنني ابتلعتُ حجرًا. عند وصـولنا إلى القـسم، سـألت أُمِّـي عن الضابط المسؤول، واستمعت إليه جيدًا بصبر بالغ، وسألته:

- هل كان ابني يقود السيارة فعلًا؟

لأن ذلك ليس ما يحكيه الجميع في الحي. فأوضح لها أن أخي اعترف بذلك بنفسه. تعرف أُمِّي كيف يتصرَّف عندما تسوء الأمور. وأخبرها الضابط بأنه بفضل تصريحات الأولاد يمكنه أن يكتب المحضر بسُرعة. يمكن لأولياء أمورهم أن يأخذوهم بعد أن يملأ بعض الأوراق، وبعد أن يدفعوا. كان والد "جوزيه" بعيدًا في مكان ما في الرِّيف بأحصنته، وكان زوج أُمِّ "مارلون" غير موجود على الإطلاق. أخبرت أُمِّي الضابط بأدب وثقة بأنها إذا كان لا بد أن تدفع كي تأخذ أخي فإنها لا تُمانع، ولكن تَوَدُّ أن تتحدَّث معه أوَّلًا. سمحوا لنا بالدخول، بينما انتهوا من فحص السيارة. عندما وصلنا إلى الزنزانة، رأينا "جوزيه" في البداية، وكان "مارلون" مُتكوِّمًا في ركن، ورأسه على رُكبتيه، بينما أخي مُلتصق بحائط الزنزانة الجانبي. ابتلع ريقه بصعوبة عندما رآنا، واقترب مِنَّا. جذبته أُمُّنا من يده، وسألته بهدوء وهي تضغط على ذراعه:

- بحقِّ المسيح يا بُني، لماذا قلت إنك أنت الذي فعلتها؟

لم تُرد أُمِّي أن تنسحب، وبدا هو كمَن يبحث عن كلمات.

- أرجوكِ يا أُمِّي، دعينا من هذا.

ونظر إلى "مارلون". تتبَّعت نظرته، جفنا "مارلون" مُتورِّمان.

- دعنا ننتظر حتى نصل إلى بيتنا، هذه المرَّة ستأكُل الفلفل الأحمر الحارَّ.

وبدت الدموع تنساب من عيني أُخي. ضغطت أمي على يده، وبصوت يعُمُّ الزنزانة كلها قالت:

- كيف حالكم يا أولاد؟ هل أنتم جائعون؟ هل تريدون أن أُحضر لكم شيئًا ما للعشاء؟

حينما عُدنا إلى الاستقبال أبلغنا الضابط أن هناك التباسًا، فقد أسفر تفتيشهم للسيارة عن شيء مُهرَّب. قال لنا:

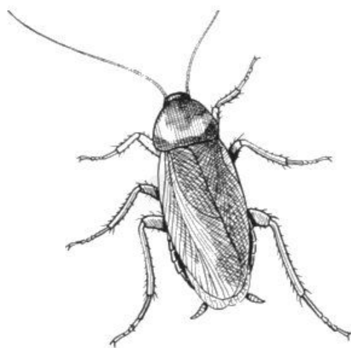
- إنه شُغل احتراف.

امتلأ عقلي بشتَّى الصور، مثل بكرة فيلم تُعرض على سقف غرفتنا مشاهد من فيلم قديم في الليل. بدأت الشرطة تبحث عن زوج أُمِّ "مارلون"، واستدعت أُمِّي المحامي الذي يعمل في المستشفى. وبدأ كل شيء آخر يتكشَّف مثل الفيلم. جفَّفت أُمُّ "مارلون" دموعها وأقرَّت بكل ما يعرفه أهل الحي بالفعل. أُمُّ "جوزيه" مُتماسكة مثله. أما زوج أُمِّ "مارلون" فكأنما انشقَّت الأرض وابتلعته. لم يعثروا على زوج أُمِّ "مارلون"، لا في ذلك اليوم، ولا في أي يوم. دفعت أُمِّي للمحامي وتعويض التلفيات من قرض من المستشفى. ووعدت أسرة "جوزيه" بدفع ما عليها، ولكن رحلت الأسرة إلى البرازيل. وكذلك أُمُّ "مارلون" تركت البلدة، وكان

هذا بناءً على نصيحة أُمِّي. أما أخي فقد هـرب مـن الشِّبـشب والفلفـل الأحمـر، وهـذه قـصَّة لـن نـتكلَّم عنهـا؛ إذ قطعـت أُمُّنـا علينـا وعـدًا ألا نتحدَّث في ذلك مرَّة أخرى. وبعدما ماتت، مرَّ وقت طويل لا نكاد نتـذكَّر فيه ذلك.



سوناتا للصيف في بوينس آيرس



اهتمَّت "إلليـسن" كالعـادة بكـل شيء. وجـدتْ سـيِّدتين عجـوزين لتُؤجِّرا لي غرفة أثناء إقامتي في بوينس آيرس، حيث التحقـتُ بالدِّراسـة التي ودَّ كل مِنَّا أن يحصل عليها. هكذا تكون المُجاملات البشعة عنـدما تكون على مشارف الموت؛ لقد تخلَّتْ عن مكانها لي حينما أدركنا أننا لا نستطيع أن ندفع تكاليف التَّعليم لنا نحن الاثنتـين. وهـذا سـبب آخـر يجعلني مدينة لها. عند هذه النقطة، لا أدري كيـف يمكننـي أن أكـون مدينة لشخص آخر أكثر من ذلك. سوف أصنع قائمة بأفـضالها، لأجنبهـا عناء صُنع ذلك من أجلي، وبهذا على الأقل لـن أكـون مدينـة لهـا بتلـك القائمة أيضًا. أوَّلًا؛ لقـد تركـت كـل شيء وراءهـا لـكي تنتقـل معـي. وفي مثل حالتها، يُعَدُّ ذلك عملًا بطوليًّا؛ لأن أسرتها - الذين كـانوا فـضوليين على عكسي - كانوا على استعداد أن يـسلخوها حيَّـةً في غلَّايـة مملـوءة بالزيت المغلي. أمَّا بالنسبة لي فقد كان هذا الأمر سهلًا؛ كنت أكبر سـنًّا. والداي من "الهيبيز"، وأشكُّ أنهما شـعرا بارتيـاح خفـي لقُـدرتهما عـلى التَّبـاهي بـابنتهما "المختلفـة". بالإضـافة إلى ذلـك، كـوني أكـبر بعـشر

سنوات كان يُعتبر ميزةً؛ لكنه أصبح الآن تصفية حسابات لما سبق عليَّ أن أسددها... عقابًا إلهيًّا... هزيمةً لجسدي.

ثانيًا؛ لقد تركت كل شيء وراءها لكي تجعلني أتألَّق؛ من خلال الدراسة، والعمل بقسم الأخبار الأجنبية بالصحف، والسَّفر، كل هذا تدعمه "إلليسن" في ظهري. لقد تركت وراءها دراستها في معهد الموسيقى لتتبعني، على الرغم من أنني لم أطلب منها ذلك، لا أحد عاد يتذكَّر هذا على الإطلاق... لأن "إلليسن" تُراعي مشاعر الآخرين لدرجة أنها تُغيِّر الموضوع لو أن أحدًا ذكَّرها بنوع من الحنين كم كانت عازفة كمان عظيمة، وماذا كان سيحدث لو... ثالثًا؛ لقد تركت كل شيء وراءها، مُجدَّدًا، لتنقذني من الموت من الرُّعب أثناء خضوعي للعلاج الكيميائي. ليست عاطفة مُبالغًا فيها؛ لقد فعلت "إلليسن" كل هذا من أجلي. وهذه الحقيقة، التي لم تُعطني أي شيء سوى أن أتحكم في نفسي، تُحطِّمني الآن. لأنني أنا الآن التي أحتاج إليها، ولا أستطيع التَّحمُّل.

كان من المُفترض أن يكون ذلك راحةً لنا، ولكن "إلليسن" لن تتوقَّف عن الشكوى... إنها في حالة هستيرية بسبب الصَّراصير. هذا ما أناله لكوني حمقاء؛ ما الذي سأكسبه من مُحاولتي أن أكون مُضحكة في هذا الموقف؟ فاضطررت للابتعاد لأنني أوشكت أن أجعلها تموت بسببي. السيَّدتان العجوزان لهما اسمان علاجيَّان؛ "ريميديوس" و"ميلاجروس"، أي "علاج" و"مُعجزة".

دخلت "ريميديوس" و"ميلاجروس" في نقاش بعد العشاء. "ريميديوس" تصيح، وترفض "ميلاجروس" أن تنصاع لها، حتى صاحت "ريميدو" بصوتٍ عالٍ، لكي تسيطر عليها، وتتحكَّم فيها، ووقتئذٍ فقط أجابت "ميلاجروس":

- نعم يا "ريمي"، لقد سمعتك.

ذكَّرني هذا بتشاجري مع "إلليسن"، ولن أقول مَن كانت منا مثل "ريميديوس" ومَن مثل "ميلاجروس". يا للتَّعاسة! إنهما لم تبيعا أي شيء اليوم. وفوق كل ذلك، انكسر سخَّان الماء. فاستمررت في غسل الأطباق تدريجيًا بقدر الإمكان، ولكن بينما أضع الصَّاج الكبير بعيدًا، استدرتُ سريعًا فاصطدمتُ في دولاب المطبخ. صدم حرف الرَّف الحادُّ جبيني، بعُنف كبير مثل ضربة المطرقة. وقع الصَّاج على الأرضيَّة، وكلتا السيدتين استدارت وركَّزت عليَّ. ها هو الوضع عندما تكون ضيفًا. الاثنتان متيقظتان على نحو مُبالغ فيه.

استغلت "ميلي" حادثتي وتسلَّلت سرًّا بحقائبها مغادرة البيت. ومن جانب آخر، نفَّست "ريمي" ما تبقَّى من غضبها فيَّ. فقالت:

- ماذا فعلتِ بحق الجحيم؟

من الواضح أنها تغلي غضبًا؛ بسبب الماء البارد، بينما كنت أمسك برأسي:

- لا تقلقي، لا شيء.

اعتقدت أنها اللحظة المناسبة لظهور صرصار فيُلهينا بمهمة مُطاردته وقتله. كان بمقدورها أن تفرغ زجاجة المبيد الحشري عليه، وطاولة المطبخ، والمطبخ بأكمله، مُحاولةً طوال الوقت أن تقنعني بأن ذلك ليس بسبب أن منزلها غير نظيف؛ وإنما كلتانا تعرف الحقيقة. لذلك، بمجرد أن تخرجا لفترة طويلة، أقوم بتنظيف كل شيء. أفعل ذلك كأنني مُتسابقة في الرَّكض، أُنظِّف كل سطح في الشقَّة جيدًا، التي لحُسن الحظ صغيرة جدًا. أُحاول ألَّا أتأخَّر في المطبخ، على الرغم من علمي بأنه أكثر مكان بحاجة للتَّنظيف. لكنني لا أستطيع، إنه يجعلني أميل للتَّقيُّؤ. الاثنتان تعرفان ما أفعله في غيابهما، لكنهما لا تنطقان بحرف. لماذا مُحاولة تبرير الفقر؟ إنهما تُوضِّحان لي:

- إنه وقت الصيف.

مَن في هذه الحرارة يلبس حذاءً برباط؟ أحيانًا أدعو بأن تُمطر، فقط لأجل أن يخلع الناس الصنادل ويلبسوا الأحذية حُبًّا في التَّغيير. والمشكلة أن الجو يصبح أكثر حرًّا بعد هُطول المطر. لم أفهم مُطلقًا قانون الأرقام الكبيرة، لماذا في مدينة كبيرة مثل بوينس آيرس تبيعان بضاعتهما بمبلغ زهيد؟ إنهما تُقسمان بأن ذلك بسبب أن الصيف كان حارًّا جدًّا، ولأن عددًا من الناس غادر المدينة بشكل أكثر من المُعتاد. لكم أتمنَّى تصديق ذلك، ولكن حالة الشقَّة تُوحي بأن وضعها استمرَّ أكثر من فترة الصيف؛ فالجدران سوداء من الدخان، والأرضية مُبقَّعة، والمطبخ حُطام، ويمكن أن

ترى الإسفنج الأصفر يبرز من الكنبة. إنها بيضاء. أو كانت بيضاء؛ لأنني اشتريتُ أمس غطاء أثاث، ووضعته عليها. شكرتني "ريميديوس" كفتاة صغيرة. ذات مرَّة، قالت "ميلاجروس" شيئًا مختلفًا:

- حلوتي، هل هكذا ترييننا؟

لو أن "إلليسن" معي، لتعاملت مع هذه التصرفات بغضب - وقد كان هذا ما يميزها – وهو ما كان يجعلني أشعر بالخجل للحظات. غير أنه الآن، بعد سنوات من صداقتنا والعِشرة البطوليَّة لها، لا يعني هذا حتى مجرد عتاب، بل علامة على النُّفور المُمل. النُّفور المُمل نتج عن أشياء لا يمكن تغييرها، ولذلك لا فائدة من تصحيحها.

لستُ متأكدة إذا كان ينبغي أن أكتب عن هذا، وخصوصًا أنني هنا منذ فترة قصيرة، اثني عشر أسبوعًا فقط. اتُّهِمتُ ذات مرَّة بأنني راوية غير جديرة بالثقة، وبالطبع كانت "إلليسن" هناك لتُذكِّرني بذلك. لم أعتذر مُطلقًا لكوني صحفية، على الرغم من أنه يجب عليَّ أحيانًا فعل ذلك، ولكن ما دام ليس مُمكنًا لي أن أتجوَّل هنا وأُسجِّل كل ما أراه، فربما ينبغي أن أقنع نفسي بأنني أختلق هذا. وبهذه الطريقة سأكون قادرة على حكي القصَّة من دون إحساس بالذنب. على أي حال، لهذا السبب جئتُ هنا، لأحمل التسجيل بعيدًا، وأكتب دون قيود حتى ولو كان كورس الأدب الذي

أدرسـه لـيس سـوى محاولـة للهـروب. لعلَّـه مـن الأفـضل إقنـاع نفـسي بالحقيقة؛ لقد جئتُ هنا لاستكمال العلاج، كـما تقـول "إلليـسن"، ولكـن هل يمكنك أن تُعالَج من دون أن تنهار أوَّلًا؟

فأنا، التي تعرف مفهوم السعادة، والتي تحزن أحيانًا من دون سـبب، وعدت نفسي بأن أُجرِّب "التجديد"؛ فنحن لا ننجو من السرطان كل يوم، بالإضافة إلى الرعاية الحنونة ممن يحبك. لهذا السبب أجلس كـل صـباح في الموعد نفسه بالضبط، وأكتـب. وهـذه هـي الطريقـة التـي أقنـع بهـا نفسي أنني لا أغُشُّها، وأن هذا الصيف هو أكثر من مجرد فصل للاهـتمام بالذَّات. وهذه الطريقة التي سأتحرَّر بها دون أن أسـقط في الفـراغ. لقـد تركت خلفي وظيفة ومُرتَّبًا جيدًا. لقد تركت خلفي المرأة المثالية (مثاليـة لدرجة أنها تخنقني). تركت خلفي كل وسائل الرَّاحة المُملَّة. أُعيـد النظـر في هذه الفكرة الأخيرة، وأُقرِّر أنه مـن الأفـضل أن أكتـب... "لقـد تركـت خلفي كل وسائل الرَّاحة المُملَّة". نعم، لهذا السبب جئتُ هنـا، حتـى لـو أننـي لم أُحقِّـق هـدفي، فعـسى أن تكـون هـذه المـرَّة هـي العـلاج الـذي سيشفيني من كل الهواجس والاضطراب العصبي؛ لأنه عند هذه النقطـة أستطيع أن أكتب رسالة كاملة عن الشعور بالرَّهبـة. ولكـن كيـف تنـسى شيئًا لم تُعطه اسمًا؟

في بعض الأحيان، أشعر بأنني تعيسة، تعيسة بمعنى الكلمـة. طبخـتُ اليوم مكرونة مع الصلصة، وصوص "البيستو"، والرِّيحـان، وعـين الجمـل، مع المشروم. تناولـت "ميلاجـروس" منـه شـيئًا، تلـك التـي لا تأكـل عـلى

الإطلاق، وبالذات وجبة الغداء. استمرَّت في اختلاس النظرات على بطاقة السعر الموجودة على علبة عين الجمل. أحسب أنها أحسَّت بالذنب لأنها لم تأكل منه كثيرًا، لربما قالت لنفسها: "مَن يدري متى أستطيع أن آكل شيئًا كهذا مرَّة أخرى؟". أسوأ ما في الأمر أنه عندما بدأت أتباهى بعملي لهذه الأكلة، زحفت الصراصير إلى الخارج. بعضها في المصفاة، وبعضها يتأرجح في الفناجين المُعَلَّقة في الجدار، وثلاثة أخرى تطل من البالوعة. تراوحت أحجامها بين الصغيرة والصغيرة جدًّا. حاولت "ريميديوس" أن تمنعني من الصراخ؛ أخذت من يدي الأواني، بينما حاولت أن أمسح أي تعبير من وجهي. أخذتُ أُفَكِّر في "إلليسن" وأنا أَرُشُّ المبيد في البالوعة. وبالطبع كان هذا نهاية رائحة الرِّيحان اللَّطيفة. يا له من سجن فاتن وسخيف! عليكِ اللَّعنة يا "إلليسن".

تركت "ريمي" مذكرة مُلصَقة على الثلَّاجة: "سيأتي مارتن عندنا اليوم". خطُّ يدها قوي، ويبعث على التَّفاؤل، مثل حديثها تمامًا. تتكلم "ريميديوس" لساعات وساعات دون أن تنتبه إلى أن من أمامها لا يرد عليها سوى بكلمات قليلة. كتبتْ في أسفل المذكرة المُلصقة، كما لو أنها نسيتْ فتذكَّرتْ قبل أن تُغادر المنزل... "إلليسن تريدكِ أن تتَّصلي بها". لم يأتِ "مارتن" مُطلقًا كي يصلح سخَّان الماء.

بعد الدرس، ذهبتُ إلى محل بجوار العمارة، يملكه صينيون. يوجد في الداخل قسم مستقل للفاكهة والخضروات، أو على الأقل يبدو هكذا. لأنك

لو اشتريتُ بعض البصل فعليك الدَّفع في المكان نفسه، لا عند الصَّرَّاف. لم أستطع منع نفسي من مُراقبة المرأة التي تعمل في القسم، إنها من بوليفيا، مثلي، عرفتها في الحال. تعمدت الاقتراب منها، كُنتُ في مُنتهى الغباء؛ إذ سألتها أمام الجميع من أين هي. لو استطاعت أن تبصق عليَّ لفعلت، ولكنها كذبت وردَّت:

- من بيرو.

عندما وصلت إلى الشقَّة، كانت "ريمي" قد تركت لي شيئًا من العشاء. لم تُبِع أي شيء في ذلك اليوم أيضًا؛ إنها مَن تتولَّى الصَّرف. لقد قطعت مسافة طويلة إلى ثلاثة محلَّات، مملوكة لصينيين، ولكن لم يكن أحد من أصحاب المحلَّات موجودًا. فبالصُّدفة كانوا كلهم في الصين. غضبت "ريمي" للغاية:

- انظري للأموال التي يجمعونها، بينما نحن نقتل أنفسنا من أجل حفنة سنتات.

لم أدرِ ماذا أقول لها. فكَّرت في كلمات، مثل "مافيا الصين"، و"خنازير الصين"، و"أغنياء الصين"، ولكن لم تُسعفني منها واحدة. حاولت أن أُهَدِّئها وأحكي لها عن الفتاة البوليفية والبصل، ولكنها فكرة غير جيِّدة... ازدادت حالتها سُوءًا. أخبرتني كيف من فترة وجيزة كانت في المستشفى، لأن "ريميديوس" في السبعين، ومريضة. أمامها في الطابور عشرون

شخصًا مـن الأحيـاء الفقـيرة، كلهـم مـن بوليفيـا. مـن غـضبها، تجـاوزت الطابور فردًا فردًا، وهدَّدت المُمرِّضة:

- ستأخذينني أنا أوَّل رقم، أتفهمين؟ هذا بلدي.

تذكَّرت شيئًا ما لكاتب بريطاني قرأتُ له حديثًا. يقول إن من يريد أن يعـرف تـاريخ بـوينس آيـرس فعليـه بقـراءة الألقـاب المـذكورة في دليـل التليفـــون؛ مثـــل "رومـــانوف"، و"روميـــل"، و"روز"، و"رادزيفيـــل"، و"روتـشيلد". عـلى الـرغم مـن أن "ريميـديوس" لا تريـد أن تـسمع، فـإن اسمها سيُدرج قريبًا في الأسـماء البوليفيـة، مثـل "كونـدوري"، و"مامـاني"، و"هوانكـا"، و"باريـساكا"، و"أبـازا"، والأسـماء الـصينية، مثـل "وانـج"، و"فونج"، و"باي"، و"تشاو"، و"يـانج"، و"وو". تُحـافظ "ميلاجـروس" عـلى هدوئها. عندما تصل إلى أعمارهم، سيصعب التَّغيير.

أحسستُ اليوم بكثير من الألم، اتَّصلت بـ"إلليـسن"، ولكنني نـدمتُ على الفور. لقد انتهـى بي الحـال لأن أُجَـسِّد "الأنـا" المُتَوَحـشة. انتهـى بي الحال لهذا. صرختُ في وجهها مُجَـدَّدًا بـأنني لم أعُـد مريـضة بعـد الآن. عليها أن تتركني وحيدةً. لا أُريد ضحية بجواري. قلت لها:

- أتعرفين؟ أعتقد أنني سأُقيم هنا.

لم ترد. وبكت بشدَّة. القصَّة القديمة نفسها، ولكن في هـذه المـرَّة لـن أقول آسفة.

اليوم (الجمعة)، نهاية الشهر الأوَّل منذ وجودي هنـا. لا يوجـد درس اليوم، ولا أشعر برغبة في الكتابة. أحسستُ بنوع من الوحدة، ولكن رنَّت كلمات "ريمي" في رأسي: "مَن يـشعر بالملَـل في هـذه المدينـة؟"، وربمـا مـا قالته بالفعل هو: "الحمقى فقط هم الذين يشعرون هنـا بالملَـل". قُلـتُ لنفسي، أفضل شيء هو التَّمشية؛ لأملأ نـاظريَّ بالبلكونـات، والكـورنيش، والأشـجار، وأكـشاك الكُتُـب، والنـاس عـلى الزلّاجـات، وعـلى الـدَّرَّاجات، والباصـات، وأكـشاك بيـع الـصُّحُف، وأكـشاك الزهـور، والكـلاب. كـلاب "لابرادور"، و"دالماتيانس"، وكلاب صيد إسبانية، وكـلاب الراعـي الألمانيـة، و"الماستيف"، و"سامويدس"، و"داشهاندز"، و"البودل"... أصحاب الكـلاب مع كلابهم، ومُـدَرِّبو الكـلاب مـع كلابهـم، بالإضـافة إلى الـذين يقومـون بتمشية عشرات الكـلاب. مجموعـة مـن الكـلاب بكـل عواقبهـا، والمُـشاة يحاولون بحـذر تجنُّـب هـذه العواقـب. كنـتُ هنـاك في أرض العواقـب. دُستُ على فضلات كلب، ولا يوجد ماء ساخن في المنزل.

يوم الجمعة مرَّة أخرى. أسبوع جيِّـد، بقـصص جيِّـدة. عُـدتُ إلى المنـزل حوالي الساعة السادسة. كانت "ميلاجروس" أمام الكمبيوتر، كما هـي دائمًـا، والسَّمَّاعات في أُذنيها، والأنوار مُطفأة. ربتُّ عـلى كتفهـا. لم أرغـب في البقـاء هنا، ولم أرغب في الذهاب إلى السينما بمفردي. سألتها فقالت: "لا"، توسَّـلتُ إليها. أخيرًا قالت: "نعم". تجاوزنا مشيًا عشرين مبنى سـكنيًّا في وسـط البلـد إلى الـسينما في "ريكولتـا". أخـذت أعُـدُّ بالفعـل كـل مبنـى، وشـغلت

ذهني بماذا أقول لها في الطريق. لم أستطع أن أُفكِّر في شيء أتكلَّم عنه إلا حرارة الصيف، لكنها استطاعت أن تبدأ بالكلام؛ إذ بادرت:

- فترتي المُفَضَّلة في الأفلام هي فترة الخمسينيات.

فقلتُ، وقد شعرتُ بالتعالي عليها:

- أوه، حقًّا؟

ووبَّختُ نفسي، فقلت في داخلي: "توقَّفي". تذهب "ميلاجـروس" كـل صباح كي تبيع سلعتها، ولا تأتي إلى البيـت إلا في المـساء، تغلـق فمهـا فـلا تنطق بكلمة عمَّا فعلت طوال اليوم. كل ما أعرفه أنها لا تبيع كثيرًا، كـما أخبرتني "ريميديوس". ولكنها الآن تتكلَّم كما لو أن شخصًا ما فتح حنفيَّة. إنها اعتادت أن تذهب إلى السينما في مدينتها الأُم... "كارمن دي آريكـو"، ثلاث مرَّات في الأسبوع عندما كانت شابَّة. أظنُّ أنهـا أحبَّـت "جريجـوري بيك". لم أستطع أن أتذكَّر ملامحه حتى أخبرتني:

- إنه ذلك الذي مثَّل في فيلم عن روما مع المُمثِّلـة "أودري هيبـورن"، هل تتذكَّرين؟ لقد لعبت دور الأميرة "آن" التي تذهب مُتخفِّية.

فوجئت.

- هل تعلمين أن هذا أوَّل دور بطولة لـ"أودري"؟

آآآآخ، بالكاد أتصوَّر "جريجوري بيك". حاولت أن أُفكِّر في مُمثِّل آخرَ من الحقبة نفسها كي أستفزَّها، فقلت بحنين:

- لم أُحِب "جريجوري بيك" بقدر "همفري بوجارت"... أحببته عندما شاهدت "كازبلانكا".

لكنها صحَّحت لي بأن "كازابلانكا" كان في الأربعينيات، وليس الخمسينيات، آآآآخ مرَّة أخرى.

ولكنه مثَّل فيلمًا في الخمسينيات، أنا متأكدة أنني شاهدته.

وراحت تشرح في الحقيقة أن فيلم "الملكة الأفريقيَّة"، الذي مثَّله مع "كاثرين هيبورن"، ولم تكن بجمال "أودري" مُطلقًا. آآآآخ مرَّة أخرى. فكَّرت في كلمات "إلليسن" الحكيمة الخالدة: "عزيزتي، الصَّمت من ذهب، والكلام من فضَّة". التزمتُ الصَّمت، بينما "ميلاجروس" تتحدَّث وتتحدَّث عن فيلم "النافذة الخلفيَّة" لـ"هيتشكوك"، وعن "مارلون براندو"، و"فيفيان لي" في فيلم "عربة اسمها الرَّغبة". أستطيع أن أتذكَّر "فيفيان لي" في دور "سكارليت أوهارا" في "ذهب مع الرِّيح"، ولكنها ذكرت ستَّة أفلام أخرى مثَّلتها بعد هذا الفيلم. وصلنا تقريبًا إلى السينما، تجاوزنا فقط المدافن عندما ذكرت المخرج "كوروساوا":

- السَّاموراي السَّبعة، أتتذكَّرين؟

هذا الفيلم شاهدته بالفعل، لكنه لم يعجبني. جاء دوري للحديث، إسهامًا ببعض الشيء، ولكن الوقت كان مُتأخِّرًا. لذلك عندما وقفنا أمام أفيشات الأفلام المُضاءة، جعلتها هي التي تختار الفيلم.

إبر العلاج الكيميائي مرَّةً أخرى، مكثتُ في السرير طوال اليوم.

اليوم (الجمعة). يتبقَّى لي أسبوعان، ولا أُريد أن أعود إلى موطني. لم أتَّصل بـ"إلليسن". فتحت "ريميديوس" زجاجة "شاردوناي" كانت تحتفظ بها للكريسماس. احتفظت بها لتشرب مع "سوليداد" التي جاءت لتصنع بيتزا للعشاء. أحضرت "سول" أيضًا زجاجة من النبيذ الأحمر معها، لذا شربنا الزجاجتين معًا. فرحت "ريميديوس" لأن "مارتن" جاء أخيرًا ليُصلح سخَّان الماء، بمجرد أن عاد من رحلته إلى "باتاجونيا". "مارتن" قصير ونحيل، في وجهة نظري، ولكنه ودود.

- أهلًا "ريميديوس"، هل أنتِ بخير؟ لا تبدين كذلك، أتعرفين هذا؟

في تلك المرَّة، كلفهما أكثر من 500 بيزو... يا رجل! كيف تكون بخير مع هذه التكلفة؟ لم أكن حتى لأسأل عن سعر سَّخَّان جديد. ولكن "ريميديوس" سعيدة، وهذا يكفي. أخذت حمَّامًا ساخنًا بعد شهرين من

المياه الباردة الإجباريَّة، ثم تشاركنا كلنا في العـشاء. أرتنـي "سـول" كيـف تصنع عجينة البيتزا، ونادتني بـ"الأسـتاذة" حتـى لحظـة انتهـاء الزجاجـة الأولى. بينما نعجن العجينة، قالت لي:

- يعلم الرَّبُّ أن النبيذ هو كل ما تبقى لي في هذه الدنيا.

قطعت البيتزا شرائح، وملأت "سول" الأكواب، قالت "ريميديوس":

- حسنًا.

ونظرت إلى "سول":

- حسنًا، ما رأيكِ؟

رفعت "سول" كأس النبيذ البارد، وقالت:

- أصفر باهت، مع بصيص من الأخضر المعدني.

وجدتُ الاحتفال فاتنًا. ابتسمت "ريميديوس"، وأمسكت "ميلاجروس" بالشراب تحت الضوء، ثم تشمَّمت "سـول" النبيـذ مـرَّة، وحركـت كأسـها بقوَّة، ثم شمَّتها مرَّةً ثانيةً. صارت مُستعدَّةً لإصدار حكمها.

- قرفة، وأناناس، مع نكهة خفيفة واضحة من الفانيليا.

وضعنا أُنوفنا في أكوابنا، بحثًا عن القرفة، بينما أخذت "سـول" رشـفة صغيرة، وقلبتها في فمها لبضع ثوانٍ، ثم ابتلعتها.

- إنها طازجة، وفخمة جدًّا، وذات مسحة من الفاكهة البيضاء.

فسألت "ريميديوس":

- فاكهة بيضاء؟!

فأجابت:

- الخوخ، وجوز الهند.

وافقنا جميعًا، وصفَّرتُ بطريقة غير لائقة على مائدة العـشاء. أكلـت "ميلي" ثلاث قطع. شربنا نخب "سول" الشيف. بعـد ذلـك، سـألتها: أيـن تعلَّمت فن الطعام والنبيذ؟ فقالت: في السفينة أو الميناء، لم تـستطع أن تتذكَّر. وضحت "ريمي" أن "سول" كانت أوَّل مُمرِّضة أرجنتينيَّة تعمـل في السُّفُن التجاريَّة، وسافرت العالم كله على متن السُّفن. فأضافت "سول":

- حتى فقدت كل شيء.

البيتــزا هــشَّة ولذيــذة. انتهــت زجاجــة النبيــذ تقريبًــا. ضــحكت "ميلاجروس"، وقد بدت أكثر تورُّدًا من المُعتاد. قالت لها "سول":

- هذا أجمل ما في النبيذ.

وملأت لها الكأس مرَّة أخرى، بينما أنا أساعد "ريميـديوس" في تقـديم البيتزا الأخيرة، وهي تقول:

- الحياة أقصر من أن نُهمل الطعام الجيِّد.

الزجاجة الثانية من نوع "بينو نوار". في هذه المرَّة، تخلَّت "سول" عن مكانها لـ"ريميديوس"، التي أخذت وقتها لتصف النبيذ بأنه "أحمر داكـن كالكرز، مُشرب بلون الياقوت". وافقتها "سول":

- أنيقة، بنكهة الفاكهة الطازجة والتوابل.

كانت "ميلاجروس" الشخص الجـادَّ الوحيـد. فقالـت وهـي تنظـر إلى "سول" وتغمز لي:

- تبدو خفيفة وطازجـة، ولكنهـا في الحقيقـة بهـا تركيـز خفـي، مثـل واحدة من هـؤلاء الفتيـات التـي تظهـر فجـأة في حياتـك وتلتـصق بـك، وتنتهي بأن تجعلك في مُنتهى الصِّحَّة والسَّعادة.

فكَّرتُ في "إلليسن". وافقنا كلنا، ما عدا "ميلاجروس"، التـي قامـت كي تغسل طبقها. شربنا ثانيةً، ولكن هذه المرَّة في نخب "ريميديوس". باحـت لي "سول"، وقد أسقطت الآن كلمة "أستاذة":

- تعـرفين يـا حلـوتي، لقـد فقـدتُ كـل شيء، كنـت في عنـبر للأمـراض النفسية، أحسستُ بالجوع للغاية، عِشتُ في الشوارع، والـشخص الوحيـد الذي أعطاني شيئًا لآكله، والشخص الوحيد الذي آواني هو هذه المرأة.

لم تدعها "ريميديوس" تُكمل كلامها، وصاحت آمرةً:

- هيَّا يا "سوليداد"! حان وقت الاغتسال.

نظَّفت الطاولة وأنا مخمورة تمامًا.

في اليوم التالي للحفل (السبت) تعطَّل سخَّان الماء مرَّةً أخـرى، فلجأنـا للـماء البـارد مُجـدَّدًا، لم تكـن "ريمـي" سـعيدةً بهـذا الوضـع. غـادرت "ميلاجروس" المنزل بحقائبها. أما بخصوص "مارتن"... فلقد ضحك علينـا كلنا. كانت فكرة جيِّدة لي أن أذهب إلى المكتبة. أفلحتُ أخيرًا في الانتهـاء من قصَّتي من هذا الأسبوع. آلمني رأسي طوال اليوم. أتمنَّى أن يكون هذا ما يُسمُّونه بدُوار الخمر.

الجمعة... "إلليسن" مع قيثارتها، مثل سرب النَّحل الطَّنَّان في رأسي. لم تتَّصل، ولم تكتـب. بعـد العـشاء، سـاعدت الـسيدتين في أربطـة الأحذيـة ووضعها في علـب. مُعظمهـا أسـود، وأبـيض، وبُنِّـي؛ فـالوردي، والأخـضر، والتركواز، والأصفر لا تُحقِّق مبيعات مقبولة. إنها بـسيطة بـشكل جميـل وصلدة، وطويلة، وقصيرة، وسميكة، ونحيلة، وقُطنيَّة واصطناعيَّة. تقريبًـا عاديـة جـدًّا. تمـشي "ريميـديوس" و"ميلاجـروس" لمـسافة مبـاني وهُـما

تحملانها على ظهريهما. كُنتُ علـى وشـك أن أتخلَّص مـن شُـنُط تـسوُّق جيِّدة حصلت عليها من بوتيك حينما سألتني "ميلاجـروس" إذا كـان مـن الممكن أن أعطيها إيَّاها بدلًا من ذلك. إنها تستخدمها كشنطة يد، فقلت لها:

- بالتأكيد.

وهربتُ كي أصنع القهـوة. تحـب "ريميـديوس" القهـوة بـالبُنِّ القليـل والسُّكَّر الكثير. أضأتُ النور، وكانت هنـاك صراصـير تهجـم عـلى الـسُّكَّر. قُلتُ:

- يا للقرف!

ولكن بهدوء. راقبتني "ميلاجروس" في صمت. فرَّغـت الـسُّكَّر، وغـسلت البرطمان، وملأتهُ مرَّة أخرى، ولكن هذه المرَّة وضعتْهُ في الثلَّاجة. وقالت لي:

- أمر محتوم أن تعيشي مع جانب الحياة القبيح.

بدا لي تصريحها كأنه هزيمة.

سأرحل غدًا، أنا خائفة. لم تتَّصل "إلليسن"... اشـتريتُ بعـض الفطـائر للعشاء. "ميلاجروس" أمام الكمبيوتر، و"ريميـديوس" تُعِـدُّ زجـاجتين مـن النبيذ. إنها تقاوم الصدأ تمامًا. تتمسَّك بسلاسل الذاكرة وتنجـو. كـان مـن الممكن أن تُصبح "موديل" للرَّسام "كليمت" بشعرها الدَّاكن. إنهـا تمتلـك قُوَّة النَّهر الذي يستمر في الجريان حتى يصير شلَّالًا ويُهيمن. أسـتطيع أن أتخيَّلها وهي في العشرين، أو الثلاثين، أو الأربعين، تغزو شوارع جينيـف،

وفيينا، وبراج، عازمة على ترك المقبرة الجماعية وراءها والخروج مـن بـين الأحجار. ظلَّـت تُـسافر حتـى الآن لدرجـة أن كـل شيء لـديها تكـدَّس في ماضيها. على الجانب الآخر، ظلَّت "ميلا جروس" في وضـع راحـة، مُقيَّـدة بظلِّها، ووجهها مائل في خضوع مثل الطفل اليتيم المُطيع. تـدفع "ريمـي" المـصاريف، و"ميلاجـروس" تقـوم بـالتنظيف. "ريميـديوس" تـتكلَّم، و"ميلاجروس" تلتزم الهدوء... "ريميديوس" تـشهق، و"ميلاجـروس" تزفـر. غسلت أسناني بالفُرشاة. كُنـتُ دخيلـة هنـا، ومـا زلـتُ أشـعر عـلى نحـو غريب بأنني في بيتي. يبرز صرصـار آخـر مـن البالوعـة، ولكنـه ضـخم في هذه المرَّة. فأقول لنفسي: "أمر حتمي"، وأقتله، ثم بعد ذلك، أُطفئ النُّور.



الحُبُّ من النَّظرة الأُولى



كان على "سيليا" أن تبحث عن شـقَّة؛ أوَّلًا؛ بـسبب أن المكـان الحـالي صـغير. وثانيًـا، وبـشكل أسـاسي، لأن عليهـا أن تُخـلي مكانهـا في غـضون أسبوعين. إنها مُماطلة؛ فهي دائمًا مـا تؤجـل عمـل اليـوم إلى الغـد، عـلى عكسك؛ إذ تنظم كـل شيء مُـسبقًا. ولكـنَّ آخـرين يُجـبرون عـلى تجنُّـب مـسؤوليَّاتهم الخاصَّـة ليُـساعدوها، دائمًـا يُـشاركون في فـشلها، ولكـن لا يُشاركون أبدًا في نجاحها. إن قُدرة "سـيليا" عـلى التَّغلُّـب عـلى النَّكـسات النَّاتجة عن افتقارها إلى التَّنظيم أعطاها إحساسًا مُثـيرًا بـالخُلود، جعلهـا طموحة، وعنيدة جدًّا لدرجة أنها لا تقتنع بأي تصرُّف آخرَ. لكنـه شـعور بعيد تمامًا على أن يجعلها تندم.

وكان ذلك رائعًا لك بشكل كبير؛ لدرجـة أنـك وجـدت نفـسك مُكلَّفًـا بالبحث لها عن شقَّة في باريس، تُرتِّب المواعيد والجولات بنفـسك. كنـت تتَّصل بها في العمل فقط إذا وجدت شيئًا مُلائمًا، والآن يبدو أنك وجـدت

شقَّة مفروشة في "سان جيرمان دي بري" بالقُرب من "ليه دو ماجو"، ومقهى "سارتر"، و"سيمون دي بوفوار" الأسطوري. لقد كرَّرت هذه التَّفاصيل بصوتٍ عالٍ، وابتسمت، عالمًا بأن "سيليا" لم تكن لتهتم بأي شيء عن هذه الفترة التاريخية. في الواقع ستفخر بعدم معرفتها. فمعرفتها بالقراءة ضئيلة كمعرفتك انت بالهندسة المعمارية.

كلاكما وصل إلى البيت المُتهالك، وإن كان لا يزال أنيقًا. يدًا في يد، أخذتما المصعد البطيء خلال الأدوار المُظلمة التي لم تمسسها الشمس، كان الهواء العفن مُتعطِّنًا، لدرجة أن "سيليا" بدأت تعطس. عندما بدأت تتهادى في الطابق السادس، مُستعدًّا تقريبًا للاتجاه إلى الشقة، غمر الضوء المُتوهِّج المُنبعث من الشقَّة الممرَّ مُسلِّطًا الضوء على خيال امرأة عجوز محنيَّة الظَّهر ولها شعر كثيف أشيب. ترتدي نظَّارة ضخمة، وغارقة في رائحة الماريجوانا القويَّة. تحرّكت بدافع الفضول أكثر منه بالاهتمام، ودخلت غرفة مُضاءة بشكل جيِّد ذات جدران صفراء. بدا الأثاث من العشرينيات، كأنه مُرتَّب بغرض التقاط الصور له؛ فالكراسي الأنيقة، والطاولات ذات الأرجل المعدنية، والأرائك الجلدية، والخداديات المُقلَّمة كالحمار الوحشي. كل ذلك أعطى الغرفة جوَّ مُتحف للفن الحديث؛ وتعتقد أنها موضوعة بشكل لا يجعل المكان يبدو أنه صالح للسَّكن. والمرأة، التي يظهر شعرها الآن تحت الضوء بأنه شعر مُستعار مُترهِّل،

شدَّت نفسًا من سيجارة، وهي تقـول مبلـغ الإيجـار الـشهري. لم تكـن في حاجة إلى أن تنظر إلى "سيليا" لتعـرف أنهـا كانـت سـعيدة، وأنهـا كانـت تريد الشقَّة بتجهيزاتها الـ"آرت ديكو"، ولكنك تعرف أيضًا أنها لا تتحمَّـل التكلفة. تنهَّدت وأنت مُتعب من البحث. وذلك حيـنما أخـذتك "سـيليا" من يدك وصرَّحت بالشيء الوحيد الذي قُدِّم لك في هذه الحياة:

- ما رأيك في أن تعيش معي؟

في الواقع لم يكن ذلك مصارحة بحبك؛ فلستُ من النوع الذي يتزوَّج، أو مَن يضع خُططًا، كانت أبعد مـا تكـون عـن المـرأة المثاليـة، ولكنـك لم تستطع أن تقول لا.

مع مرور الشهور، تساءلت ما الذي كنت تفعله في هذه الجولة المُثـيرة، أنت الذي لم تحب الصُّراخ، ولا المُرتفعات قط، لم تكن مـن النـوع العفـوي، وليس لك دوافع مُلحَّة، ولا حتى إذا تعلَّـق الأمـر بـالجنس. الـشيء الوحيـد الذي أحببته في الشقَّة هو "سيليا"، لا الأسقف المصبوبة، أو النوافذ العاليـة، أو الأرضـيات الخـشبية. كـل التفاصـيل المعماريـة لم تكـن لتربطـك بـذلك المكـان، وعـلى الـرغم مـن هـذا بـذلت قـصارى جهـدك لتتـذوَّق الفـن في الشيفونيرة المـشهورة، وزهـور التوليـب الزجاجيـة في الحـمَّام. لقـد أحببـت صوت "سيليا" العميق وهي تُغنِّـي أغـاني "البلـوز" في بعـض الليـالي – التـي

أصبحت أقل - عندما تسترسل في الغناء على الجيتار، وتنساك تمامًا. استمتعت بصُحبتها في الوقت ذاته الذي تُبعد فيه جسدها المثالي بعيدًا عنك، كلاكما ينام هادئًا على السرير. وفوق كل ذلك لقد أحببت الطريقة التي تُحوِّل كآبتك إلى تفاؤل، وتسحبك إلى الحياة، فقط من أجل مُتعتها، دون أدنى تفكير في المُستقبل، أو اليوم التالي، أو حتى الثانية التالية. أحببت "سيليا"، وفقط "سيليا"، أو بالأحرى فكرتك عنها.

و"سيليا"، على الجانب الآخر، ضايقها أسلوبك العادي في الجنس، والذي وصفته بسخرية أنه "مُمل"، حيث لم تستطع تعريفه بشكل آخرَ. لقد جاءت إلى غرفتك، وأخذت كتبك بعيدًا، وصعدت فوقك، وفكَّت سحابة بنطلونك، فقط لتنهض فجأة من عليك بعد لحظة، تزداد غيظًا:

- أوووه! أنت مُمل!

ثم تفرض حظرًا على الجنس، الذي ينتهي بتحمُّلك له أكثر من تحمُّلها، لأنك لم تفتقدها. ولعلَّ هذا كان أكثر الأشياء استفزازًا منك؛ بأنك لا تفتقدها. خلال تلك الأيام أو الساعات، يصبح الزمان والمكان أخيرًا ملكًا لك. لا أحد يلمس كُتبك، ولا أحد يفرض رغباته الحرة على نظامك الرُّوتيني. لقد استمتعت بفترة استراحة من الحصار، وتخيَّلت أنك تمشي راجعًا إلى البيت من المكتب ولا تجد أحدًا في انتظارك. يبدو الأمر كما لو

أنك، مرَّةً أخرى، تسيطر تمامًا على كل ما تمتلك، بما في ذلك فوضاك وصمتك. فوق كل شيء؛ صمتك. كانت "سيليا" تصرخ دائمًا؛ سواء كانت مسرورة أم غاضبة، فهي تصيح، لكنها عندما تزداد غضبًا، عندما تغضب فعلًا، فإنها لا تتكلَّم معك. وبعد ذلك، تكره حينما تستخدم المُصطلحات الأدبيَّة، "باريس وليمة مُتنقِّلة". وصل إشعار من مُحامي مالكة الأرض، يعلمك بأنها ماتت. حزنت "سيليا" عندما تذكَّرت الشعر المُستعار. قالت:

- لو كنت ابنتها، لأحببت الاحتفاظ به.

نظرت من أعلى كتابك، فعرفت بذلك أنك كنت تستمع، ولكن لم ترد. فاستمرَّت:

- نعم، كنت سأضع باروكة على أحد رؤوس هذه المانيكانات، وأُمشِّطها بحب كل ليلة.

شعرت بحاجة مُلحَّة أن تقول لها اسكُتي، أو تتركك وحدك، ولكن لم يستحق الأمر العناء. استمررت في القراءة، مُستلقيًا على إحدى الأرائك، مُتوسِّدًا إحدى الخداديات المُقلَّمة كالحمار الوحشي.

ذكر الخطاب الأطفال الذين يريدون أن يبيعوا الشقَّة التي ورثوها، ووضح أنه طبقًا للقانون الفرنسي، يحقُّ للمُستأجر الرَّفض الأوَّل. في هذه

المرَّة، لم تقل "سيليا" شـيئًا، ولكنـك لم ترغـب في النظـر إليهـا لتعـرف مـا كانت تُفكِّر فيه. كنت تعلم مدى حُبِّها للشقَّة؛ الغُرَف المُـشرقة مُتجـدِّدة الهـواء؛ الأبـاجورات، منظـر أسـطح المنـازل الباريـسية، الغُـرف العلويـة والسندرات. قالت "سيليا" بتنهيدة:

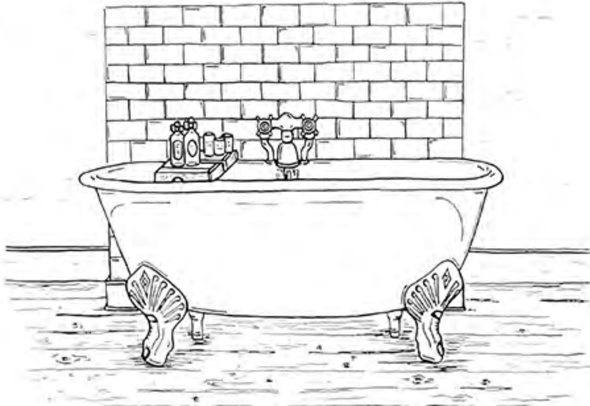
- ينبغي أن نشتريها، أتتخيَّل ذلك؟

وكنت أنت خائفًا من أنها أوشكت أن تقترح.



تركيـب الملـح

إلى والديَّ



لم يشعره العـرق بعـدم الارتيـاح إطلاقًـا مـثلما فعـل معـه البُكـاء. لا يستطيع تذكُّر متى أحسَّ بالامتنان للحيته من قبل، فاللحية الكثيفة التي سبَّبت له التَّعرُّق بـشكل مُـزمن تـساعده الآن ليُخفـي شـفته المُرتعـشة. طوال حياته يتعرق بغزارة، فقمصانه مُبلَّلة بالعرق، وشعره كذلك، ولكنه لم يستهلك مناديـلَ ورقيـة كثيرة مـن قبـل... "دكتـور، إننـي أبـكي طـوال الوقت"، قال ذلك، وهـو يُفكِّـر في نفـسه بأنـه إذا اسـتطاع سـيذهب إلى المستشفى المثالي الذي في السماء ليستبدل افتقاره إلى ضبط الـنفس بـأي مرض آخرَ. هناك شيء غريب يحدث له. لماذا يغيِّره التَّقدُّم في السِّن بهذه الطريقة؟ لا يمكن أن يحلم العديد من الرجال بتقـدُّم العُمـر، ولا بـد أن هناك قلَّةٌ ممن اشتاقوا إلى التقدم في العمر منذ طفولتهم، كما فعل هـو. ففي سن السادسة عرف أنه أراد أن يكون جدًّا، والآن، عندما أصبح أخيرًا جدًّا، صار يفسد كل شيء ببُكائه.

إنه يمتلك ذاكرة قوية. لقد نزلوا من الباص بعد وصولهم إلى "الاباز" من المنجم. احتفظت المدينة بتلك القوَّة الغريبة التي تعقب العاصفة الثلجية؛ كانت التِّلال يكسوها اللون الأحمر اللَّامع، والهواء أكثر برودة، وأكثر شفافية. ومع ذلك، ولأن الشمس في ذروتها، شعروا بالعطش. قاده جدُّه من يده إلى ناصية لشراء "التاياشا"؛ أوَّل حلوى محلية باردة يتذوقها مصنوعة من نبات "الماشوا" الدرني بالسُّكَّر. سأل ما هذا الشيء العجيب، فأجابه الرجل العجوز باختصار:

- إنه نبات "الماشوا".

ويده الضخمة تمسك بيده بإحكام، ولكن لا تسحقها. إنها يد دافئة ومُريحة، يد رجل. تشبه نبات "الماشوا" في شكلها، وتُشبه الآيس كريم. ترك جدُّه يده لكي يُريَهُ كيف يأكلها، وأعطاه غمزةَ تشجيع. جعلت "التاياشا" يده باردة، فقال:

- مزيد من السُّكَّر.

- هل يكفي هذا؟

ذابت الحُبيبات البيضاء مع الطعم المُنعش الذي ملأ فمه. لفحت الشمس وجهه. فقال الرجل العجوز:

- لذيذة، صحيح؟

فأومـأ برأسـه، مُمـسكًا بيـده بقـدر مـا يـستطيع مـن قـوَّة. غمرتـه الذكريات عن جدِّه. يخبر نفسه: "إننـي أتـصرَّف كفتـاة" كلـما نظـرت في المرآة باحثةً عن أي تغيير جسدي. تبكي النساء بمُعدَّل شـهري، أو سـنوي، بل في كل الأوقات. قال لزوجته:

- سأذهب للطبيب، وأطلب منه أن يُعطيني حقنة هورمون ذكورة.

ضـحكت. نظـر إلى زوجتـه، وأجـبر عـلى الـتَّخلِّي عـن نظرياتـه الفسيولوجية. كانت امرأة قوية كالحيوان الأصيل، ولا تبكي مُطلقًـا، ولا حتى عندما مات ابنهما الصغير. كانا شـابَّين عنـدما سـقط ابـنهما مـن النافذة، قافزًا مـن سريـر إلى سريـر، فقـد توازنـه، واصـطدم بالنافـذة، وساعدت الجاذبية على سـقوطه، بقـوانين الحركـة، بالفيزيـاء، فـسقط من طوابق عديدة وتهشَّم على الأسفلت. ومع ذلك، لم يتضرَّر جـسمه الجميل، وكان وجهـه الحلـو غـير المُـضطرب يحمـل لمحـة مـن اللعبـة النهائية؛ من صـحوته الأخـيرة كمـلاك. لم يكـن البُكـاء مُمكنًـا في ذلـك الوقت، فالبُكاء يشبه رمي طحالب البحر فوق سطح المُحيط المُتجمِّـد المالح والـذي سـيذوب بالتـدريج ثـم سـيغرقهم جميعًـا، واحـدًا بعـد الآخر، ولم يكن يسمح بأن يحدث ذلـك. فالبُكـاء، بكـل تأكيـد، بمثابـة تـرك ابنـه يغـرق في الميـاه المُظلمـة ووضـعه عـلى صـخرة كي يتمكَّنـوا

من رؤيته هناك، الأعيُن مفتوحة، أسفل في الأعماق. لماذا ينبغـي أن يـبكي الآن؟ قالت لكي تبهجه:

- أُحِبُّ عينيك هكذا أفضل، لك عينا بحَّارة، عينا مُحيط.

فردَّ مُزمجرًا:

- اللَّعنة على المُحيط، لقد فقدناه في حرب المُحيط الهادئ!

اعتادت أُمُّه في طفولته أن تقضي الليـل بإخبـاره قصـصًا عـن المُحـيط الهادئ، بمُلوحته، وبُرودته، وأسراره. أحيانًا تهزُّه لينام على صوت المحـيط الذي يسمعه في صدفة الحلزون.

- لا أهتمُّ، لك عينا محيط.

لم تنزعج زوجته من بُكائه أو مـن عينيـه الحمـراوان دائمًـا. بـل حسدته، تمنَّت لو أنها تعلَّمت البُكاء، ولكنهـا لم تـستطع. لم تُخلـق لتذرف دمعة. لقد أنشآ معًا في قلبيهما قلعة من القـرون الوسـطى مـن التقـشُّف والـشجاعة لا ينقـصها الإرادة، ولا الحـب، والـشعور بالذَّنب، والأقـل مـن ذلـك كلـه ولا الحـزن. بهـذه الطريقـة، تمكنَّـا مـن شـقِّ طـريقهما في الحيـاة بهمَّـة، ولكـنهما لم يخـضعا تمامًـا للفرح. وهكذا كانا في حُزن أحيانًـا، وفي غمـوض أحيانًـا أخـرى، وفي عُزلـة تمـنعهم مـن اسـتقبال أي شيء. والـشيء الـذي يمكـن بالكـاد

استقباله هو عناق واهتمام الناس به، دون سؤال في البداية، وبحميمية مُزعجة بشكل مُفرط، لمُجرَّد أنه يبكي.

نصحه الطبيب بألا يقلق:

- البُكاء شيء صحِّي.

- فلتذهب الصِّحَّة إلى الجحيم يا دكتور. أنا أكبر سنًّا من أن أكون بصحَّة جيِّدة.

إنه خطأ في الحسابات. لقد توقَّع أن التقدُّم في العُمر سيقوده إلى حالة هادئة، ليس العكس. من أين جاءت هذه البهجة الروحية فجأة التي جعلته يشهق ثم يبكي؟ تلك القُدرة التي ظهرت مؤخرًا والتي يمكن التغلُّب عليها بأي شيء؟ أسوأ شيء هو التَّفاؤُل العلمي الذي هزمه وأوقعه في شباك التشخيص القائل إنه لا يحمل مرضًا، وإن السبب يكمُن في أعماقه. وهو شيء ليس كالألم في الرَّأس أو عيب خلقي، فقد أوضح الدكتور أن دموعه لم تكن تتدفَّق بشكل مُستقل عن عواطفه. الدموع لها معنى، ولا تأتي من دون سبب. قال:

- المشكلة أنني أتحوَّل إلى مُخنَّث.

صحَّحت زوجته قائلة:

- بل المشكلة الحقيقية ستكون لو ظهرت عليك مُتلازمة مُواء القطط، التي تحدَّث عنها الطبيب. تخيَّل لو أنك لا تستطيع التَّوقُّف عن المُواء بدلًا من البُكاء! ما كنت سأنام لحظة.

ضحكا معًا.

لكن المشكلة استمرَّت، فكل شيء يدفعه للبُكاء. ذات مرَّة بعد الظهر، ذهب إلى مدرسة حفيده لحضور مناسبة ما، وبمجرَّد أن وضع قدمه في الفصل، حدَّد رائحة طفولته بوضوح؛ رائحة هذه المكاتب الصغيرة! فاضطر أن يغمض عينيه بشدَّة ليمنع الدموع من التَّدفُّق. ترك المدرسة مُشمئزًّا وغاضبًا من نفسه، كان الجوُّ مُمطرًا في الخارج. في اللَّاتينية، الفعل الذي يُعبِّر عن البكاء plorare يشبه الفعل الذي يعبر عن هُطول المطر pluvial. كان صوت المطر كصوت الصُّراخ، مثله مثل العاصفة التي جرفته إلى خارج الطريق؛ إلى الطُّرُق المُختصرة، والحواري المُحافظة على الخُلوِّ من خط السيارات التي تشبه الشرائط الورقية الملونة، مثلما نجد في وسط البلد بمجرد أن يحل الشَّفَق على المدينة.

لقد ساعده المشي. فعبر دون وعي من الأسفلت إلى الشوارع الحجرية القديمة، شعر أن متاعبه تستنزفه تدريجيًّا مع كل خطوة، بينما بدأ يرى أمامه أكشاك النساء الهنديَّات العجائز يدعونه ليقرأن له البخت في أوراق شجر الكوكا. أصابه البخور ونبات المر بالنُّعاس، والدُّوَار من الألوان

الأرجوانيــة للأغلفــة الــصوفية اللَّامعــة للحلويــات. لقــد كــان في ســوق الساحرات. استطاع أن يتبيَّن أعشابًا مُتنوِّعة، عـلاوة عـلى اللَّامـا الـصغيرة المحنطة، والهاون الحجري ومدقَّاته. التعاويـذ والـتَّمائم تـرقص في مَهَـبِّ الرِّيح. تذكَّر أن "لوكوثيا" دفنها أبوها حيَّـةً، عنـدما أغـضبته علاقتهـا مـع "أبوللو". وأراد "أبوللو" أن يُكرِّم الأميرة الميِّتة، فنقلها إلى شجرة لبان الدَّكر المُزخرفة. غمغم: "كان الإغريق حُكماء، ولهـم مهابـة"، أو بـالأحرى كـانوا حُكماء مُروِّعين، وابتسم.

على بُعـد خطـوات قليلـة، لافتـة مـن حجـر الإردواز، حملـت إجابـة لقلقه. الكلمات مكتوبة بطباشير مُلوَّن بيـد غـير دقيقـة أكـثر مـن كونهـا صبيانية. قرأها "علاج للرُّعب الروحاني، حمَّامات تطهـير للفـرح"، ودخـل غرفة مُظلمة ذات جدران مُرتفعة من الطوب اللَّبن، حيـث أعطتـه امـرأة مُسنَّة مُنحنية الظَّهر وصفته الطبِّية؛ حمَّام في المُحيط وعيناه مفتوحتـان. فسألها بسُخرية لربما لا تعلم أنهم يعيشون في بلـد غـير سـاحلي، ولكنهـا برباطة جأش لم تُجب عن السؤال. فغادر، وهو يُفكِّر في حفيده وزوجته، والمُحيط. كان مُـبلَّلًا فبـدأ يـشعر بـالبرودة. غطَّـى الليـل، كمـلاءة كبـيرة، المدينة. صـار تعيـسًا مـرَّة أخـرى. مـاذا يمكنـه أن يفعـل؟ لمـاذا فجـأة لا يستطيع التنفُّس بسهولة؟ ما الذي يحتاج إليه لـكي يتغـيَّر ويـتخلَّص مـن الانهيار العصبي؟ بدأ يخجل من أفكاره، وأحـسَّ بـضرورة الاعتـذار، لكـن

زوجته ليست معه، ولن تكون في البيت إلا مُتأخِّرًا. في النهاية صارت هي الشيء الوحيد الذي يهمُّه.

في تلك الليلة، في الشقَّة المُظلمة، بينما يستعد ليأخذ حمَّامًا ساخنًا تجنُّبًا للإصابة بالبرد، بدأ يعتقد أنه فهم ما أرادت المرأة المُسنَّة إخباره به. لا يهم الذهاب إلى المُحيط، طالما أن لديه ماءً مالحًا. لذا أسرع إلى المطبخ مُتحمِّسًا، ثم عاد وألقى بعلبة كاملة من الملح المجروش في الطِّشت. كانت زوجته ستوبِّخه، يعرف ذلك، ولكن لا يهم ذلك. توقَّف لحظات قبل فتح الحنفية. لم يكن يعلم على وجه اليقين إذا كان ينبغي أن يكون الماء باردًا أم ساخنًا، لكنه استقرَّ على السَّاخن. قال لنفسه: "لنفترض أنه الكاريبي". لقد طمأنه منظر الطِّشت المملوء بالماء. كما لو أن الواقع قد تَمَاسك بثبات. وقف عاريًا بجانب الطِّشت، ودخله بسُرعة، وهو يحنُّ للبُكاء تحت الماء. وأحسَّ بأنه يعلم من أين أتى كل ذلك، وكان مُستعدًّا لمُواجهته. ثم غمر نفسه في الماء المالح وعيناه مُغلقتان. انتظر حتى استعدَّ ليفتح عينيه، ثم فتحهما، لكنه لم يرَ ابنه في أي مكان. رجع إلى السطح يائسًا. أخذ نفسًا عميقًا، وبدون تفكير، غمر نفسه مرَّة أخرى، باحثًا عن صورة، عن أي شيء له معنى، لكنه في هذه المرَّة لوى نفسه إلى الجانب الأيسر، وظل هكذا لفترة طويلة، حابسًا أنفاسه. كان الماء لا يزال دافئًا عندما بدأ يهتز على صوت المُحيط البعيد المحفوظ في حلزون المحار.

الشَّريط الأحمر



وصلت "ناتاليا" إلى البار مُتأخِّرةً، كُنَّا نسمح لها ببعض التَّأخير؛ لأنها تأتي دائمًا بقصَّة. هذه المرَّة لم تعتذر أختي عن التَّأخير؛ لأنها تعلم أن ساعة أو اثنتين لا تمثلان لنا أهمية كبيرة. على أي حال، نحن العاملين في الصحافة والمُحاماة المحلية لا يمثل الانتظار لنا مشكلة. جلست وبدأت تتحدَّث (وهو حدث نادر، إذ إنه من العادة أن تجلس في هدوء وتستمع لـ"جابرييل" الذي يطغى ذكاؤه على كل شيء وأي شخص آخر). أحبَّ نبرة صوتها. لا أدري ما السر في نبرتها الناعمة وغير المُكترثة التي تُهدِّئني. غير أن هذه المرَّة لم يكن صوتها صافيًا، لقد غادرت الصحيفة توًّا، وما زالت تتألَّم من تغطية منتصف الليل الصحفية. صاحت:

- تم القبض على رجل.

بدا القلق على "ناتاليا"، فسألناها إذا كان الرجل بريئًا، فردَّت بأسلوب يُشبه الاعتذار:

- لا أعرف.

وأمسكت يد "جابرييل" بيدها، وأخبرتنا بما تعرفه من حقائق:

- لقد تُوِّجت "ريبيكا" ملكة الكرنفال، و"ريبيكا" الآن ميِّتة.

أخـذت "ناتاليـا" صـورًا فوتوغرافيـة عـن مـسرح الجريمـة والموكـب. وهكذا كُنَّا قادرين على تصوُّر ذاك الكرنفال الرخيص، الذي أقيم عشوائيًّا وسط التراب والقمامة في ضواحي المدينة. لم تكمل شهرة "ريبيكا" خمس عشرة دقيقة حتى؛ إذ تم قتلها قبل مراسم الاحتفال. بينما تحكي "ناتاليا" قصَّة مملكتها العابرة، تخيَّلنا مُجتمعًا من السكان الأصليين يعيش في فقر لا يُوصف، مُجتمعًا يُشبه الفتاة، يتَّجه نحـو الانقـراض دون توقُّـف. قبَّـل "جابرييل" "ناتاليا" على جبينها، قبـل أن تـترك أختـي يـده ثانيـةً، وتقـول بأسلوب لا يخلو من الدراما:

- لم يتخيَّـل أحـد مـا يُخبئـه القـدر للملكـة، ولا سـيما النـاس الـذين توَّجوها.

كان ذلك اليوم مُشرقًا للغاية؛ مليئًا بالبهجة والحرية والضحك اللطيـف. أبرزت الفرنفلة الحمراء المشبوكة في حزام "ريبيكا" عرض ردفيهـا في شـورتها القصير. كانت في الرابعـة عـشرة مـن عُمرهـا، ولكنهـا تركـت الطفولـة منـذ زمن مضى. ومن المُحتمل أنها لم تمر بالطفولـة نهائيًّـا؛ أي وُلـدت في مرحلـة البلـوغ مُبـاشرةً. كنـت أُفكِّـر، بيـنما "ناتاليـا" تقـصُّ مـا قالـه الخُـبراء لهـا،

بأن الفتاة جاءت من ثقافة مُتحرِّرة جنسيًّا. حاولنا أن نفهم ما يعنيه الخُبراء من التَّحرُّر الجنسي، فترجمناه على هذا النحو؛ شعب الأمازون، من صيادين، وبدو رُحَّل، ونسَّاجين، الذين يعتبرون الفضائل الجسدية شيئًا أساسيًّا. كان ذلك لا يزال مُجرَّدًا جدًّا. تخيَّلنا صدر الأمومة، والأغاني النسائية، والفتيات الصغيرات ينخرطن في المُتعة الجسدية. قالت "ناتاليا" إنه في عالمهم، الزمان والمكان جزء من تراثهم الشفوي؛ لا تُعتبر الشهوة والاستمتاع خطيئة، بل شيء طبيعي، وحيوي. أَخَذَنا شرحها للحظات إلى الفردوس، ثم إلى الجحيم؛ لأنه عندما يصطدم الواقع الفطري مع حياة المدينة، تصبح الحرية أداةً تُجرجر النساء إلى مطحنة العالم. إنه الفقر الذي يطحن كل هذا، في سن صغيرة لا يمكن تخيُّلها، تُسلِّم الفتيات الهنديات أجسادهُنَّ للأوهام الحالية مقابل لا شيء تقريبًا. سألت:

- مقابل كم بالضبط كل هذا؟

فأجابت "ناتاليا" بلا لباقة:

- باثنين بيزو.

جعلني صوتها المُرهق أُفكِّر في الجليد، بجلدي المُتألِّم في البرد، في الثلج وهو يذوب إلى ماء، في "لا باز". على عكس "ريبيكا"، لم أتجاوز طفولتي إلا مُؤخَّرًا عندما تبعت أختي إلى "لاباز" للكلية. صحيح إنني لم أكن طفلة

بالتمام حينئذٍ، ولكنني كنت من قرية صغيرة. كانـت مُراهقتـي في أمـان، وتحمَّلتها كأنها مرض ما.

تُعتبر السابعة عشرة متأخرة قلـيلًا بالنـسبة لفتـاة في المدينـة، ولكـن ليس لفتاة في قرية معزولة جدًّا، وفي الوقت نفسه مُتلهِّفة جدًّا للمرح. لا أستطيع أن أقول إنني أفـرد جنـاحي مثـل الحمامـة المُـستعدَّة للطـيران. وعلى الرغم من ذلـك، كنـت أعلـم أن الريـاح لـن تحملنـي، وأن الجهـد سأبذله وحدي. لم تكن الرَّصانة من شيمي، ولا سيما هـذه الأيـام، حيـنما رفضت التنازل عن حريتي المُتألِّقة بالتخطيط للمستقبل. كانـت سـتصبح رحلتـي شرسـة، ومُتقلِّبـة في الهـواء، قفـزة عنيفـة في المجهـول، اقتحـام للمدينة، وتـشبُّث بكـل هـذه الأشـياء التـي كنـت أتـوق بـشدَّة لرؤيتهـا وتجريبها. نعم لديَّ شياطيني، ولكن لا أحد يُـلام عـلى مـا حـدث إلا أنـا. وعلى الرغم من ذلك فإن "ناتاليا" غالبًا مـا تُؤنِّـب نفـسها لأنهـا أخـذتني معها إلى المدينة، والحقيقة إن القرار قراري، قراري وحدي فقـط. الـشيء الوحيد الذي ألومها عليه هو أنها أنقذتني حين أردت أن أموت. كشطت بعض الثلج من فوق سيارة ووضعته على خـدِّي لتبقينـي واعيـة، وتـلاشى كل من الثلج وصوتها شيئًا فشيئًا.

- ماذا حدث يا حبيبتي؟ ماذا فعلوا بكِ؟ ماذا سأقول لأُمِّي وأبي؟

وأجبتُ:

- لا شيء، عِديني.

استمرَّت "ناتاليا" في قصَّتها. استقلَّت "ريبيكا" تاكسي، وسألها السائق عن الوجهة التي تريدها. لقد أخبرت كل هذا لفتاة أخرى، "إنجيليكا"، آخر فتاة رأتها "ناتاليا". أرادت الاثنتان أن تكونا معًا، ولكن "إنجيليكا" كانت حاملًا، ورفض سائق التاكسي أن تركب... "حامل"، قالها شخص ما، لا أستطيع أن أتذكَّره، كما لو أنهم لا يُصدِّقون ذلك. نظرت بعيدًا تلقائيًّا. أكدت "ناتاليا":

- نعم، لم يُرِد السائق أن يأخذها في سيارته، على الرغم من أنه كان معها قبل أيام. كان معروفًا في "البامبا".

سأل أحد الأشخاص:

- ما شكله؟

فقالت "ناتاليا":

- بدين.

حسنًا، أكثر بدانةً، وبكِرش، ومُسنٌّ، وطويل. كانت "إنجيليكا" دقيقة؛ مثل جَدِّها. أبيض، مثل التاكسي. حلو تقريبًا. من المحتمل أنه دفع أكثر من اثنين بيزو لأن الفتاتين تعاركتا قليلًا على ركوب التاكسي، وعلاوة على

ذلك اشترى لهما آيس كريم. ولكـن بعـد ظهـر ذلـك اليـوم، أم بـالأحرى نسميه مساءً؟ حوالي الساعة السابعة والـسماء مـا زالـت مُـضاءة عنـدما اختار "الملكة" لأنها الأحلى. كانت "ريبيكـا" أكـثر مـن جميلـة. يمكنـك أن تـرى ذلـك في الـصورة التـي أرتنـا إياهـا "ناتاليـا". كانـت الفتـاة سـاخنة ومُتورِّدة ومُمتعة كقلب البطيخة. قال "جابرييل":

- ساخنة، لمائة درجة!

تجنَّبني "جابرييل"، كالطريقة التـي تعـبر بهـا الـشارع لتتفـادى قـول "أهلًا" لشخص تعرفه وتعلم أنه رآك بالفعـل. يلمـح يـديَّ بطـرف عينـه، ويُجيـب لمـا أقولـه بالـصمت التـام، لا أحـد لاحـظ ذلـك باسـتثنائي أنـا و"ناتاليا". عندما كنـت طفلـة، رآني طفلـة مُزعجـة مُدلَّلـة تثـير كـلًّا مـن المتاعب والوُدِّ. كنت في الرابعة أو الخامسة عندما بـدأ "جابرييـل" يأخـذ "ناتاليا" ويخرجا. لم يكونا مخطوبين حينئذٍ، ولكن اعتـدنا أن نـراهما معًـا كما هما الآن. يأتي "جابرييل" في المـساء كي يُطلـق نكاتـه الـساخرة بدقَّـة شديدة كالنِّبلة. تبعد "ناتاليا" يدي بعيدًا عن وجهي:

- توقفي عن تنظيف أنفكِ بأصابعكِ، يا قذرة!

لكننـي لم أسـتطع المقاومـة، فأضـع إصـبعي في فتحـة أنفـي طـوال الطريق. كنت في مهمة أن أذوق الفاكهـة المُحرَّمـة، وأختـي في مهمـة أن

توقفني عن ذلك. لم يعلم "جابرييل" شيئًا عن هذا؛ لأن "ناتاليا" لم تكن تخبره عنِّي، ولكن كيف لي أن أعرف هذا في ذلك الوقت؟ لم يعرف أشياءَ كثيرة، مثل أن الكلام يجرح. يأتي إلى منزلنا في وقت القيلولة، بينما ألعب على أرضية الفارندة، منزوية بحذر. يقول:

- أهلًا يا ذات الأنف السائل.

كنت أرى عينيه من أعلى طرف إصبعي، وتتدفَّق دموعي. لم تستطع "ناتاليا" أن تتحكَّم في نفسها.

صحتُ فيه:

- أنت نذل كبير!

لم يفهم "جابرييل"، وتلوَّت "ناتاليا" من كثرة الضحك:

- إنه يغيظكِ، يا سخيفة، لا يقصد المعنى الحرفي.

سأل شخص مرَّة أخرى عن "ريبيكا"، أراد أن يُحوِّلها إلى مسألة نفسية. توقَّفت "ناتاليا" وتركت كل مِنَّا يقول نظريته. كيف لي أن أصفها دون أن أهينها؟ افترضنا أنها مُبتهجة، ومنفتحة، وإلا ما اختيرت ملكة الكرنفال، ولكن اتَّفقنا على أن هناك طرقًا كثيرة لتكون مُبتهجًا. فقد يكون أحد الأشخاص مُبتهجًا جسديًّا، لديه مزاج مُثير، ونشط، أو عدواني قُدِّر له

أن يُعاني الحياة ومرور الزمن. وآخرون يمتلكون بهجة أكثر تعقُّلًا، تقريبًا بهجة روتينية؛ تلك الصفة تكون حاسمة أكثر مما أن تكون مُقدَّرة، وهو ما نُسمِّيه بشكل مُبهَم التفاؤل. واتَّفقنا على أن "ريبيكا" قد تكون عنيدة بعض الشيء، بمعنى أنها تُصِرُّ على كل شيء على الرغم من الرعب الذي في حياتها. وفي هذه الحالة، بدت أيضًا غير منطقية، ثم مَن يعلم، قد تكون بهجة "ريبيكا" قناعًا، آلية دفاع. من الملائم لفتاة في سنِّها أن تكون خجولة، ومُبتهجة، وحسَّاسة لكل ما هو غير مُتوقَّع. بالنسبة لها، أي شيء قد يكون غير مُتوقَّع؛ الفستان الجديد، طاولة بمفرش، الماء الساخن، الذهاب إلى المدرسة، تلقِّي هدية دون الاضطرار إلى ردِّها. نفدت كلماتنا.

قالت "ناتاليا" إنه لا أحد لاحظ فقدان "ريبيكا"، حتى وجدتها الشرطة على جانب الطريق، في الأدغال. لم يبحث عنها أحد؛ لأن "ريبيكا"، كما قالت جَدَّتها، كانت مثل القطة، تختفي طويلًا، ولكن تعود دائمًا. تقول "إنجيليكا" إن "ريبيكا" تحب الذهاب إلى الأماكن، تريد أن تتوه. "مَن مِنَّا لا يريد أن يتوه؟" هكذا فكَّرت، وأنا أجلس مع نفسي أكاد أتجمد من مُكيِّف الهواء. فكرت في أنه ربما يكون هذا هو السبب في أنها تحمل معها علبة صغيرة بها الغراء القوي "هركليز" في حقيبة يدها ليساعدها في المواقف الصعبة. عندما تعرَّفوا على جُثَّتها في المشرحة، لم تعد "ريبيكا" ملكة كرنفال؛ لقد فقدت شورتها القصير، والوردة الحمراء، وشعرها الطويل المُرسل أصبح مثل السجَّادة القديمة البالية. جسمها مُغطَّى

بكيس من الخيش، ربما جِوَال بطاطس. مرَّرت جَـدَّتها أصـابعها عـلى كـل جسد "ريبيكا" دون أي دموع كأنها تُؤدِّي طقس ما. تفهَّمت أن الموت لا يتطلَّب تفسيرًا، بينما كان الضابط يُؤدِّي واجبه، ووصل إلى فرضية الشَّنق (لا يستطيع البتَّ بأن الفتاة تم اغتصابها). أخبرت "إنجيليكا" "ناتاليا" بأن جسد صديقتها مُلطَّخًا بالغراء، النوع نفسه الذي في حقيبتها، بكثرة حتى إنه غطَّى الوشم؛ القلب، والسحلية، والنجمة. همست:

- الجسد حزين.

لقد كانت قصيدة "مالارميه" حقيقة. غمز "جابرييل" لـ"ناتاليا" لتُغيِّر الموضوع ما دام الأمر اتَّضح، لكن سكوتنا شجَّعها على الاستمرار، قال من باب الاعتذار:

- الصحافة مثل المرض المناعي.

فأردفت "ناتاليا":

- تستطيع أحيانًا أن تُطعم نفسك، لكنك أحيانًا تستسلم للمرض.

لم تقدر "ناتاليا" أن تمنـع نفـسها مـن الجـدال مـع "جابرييـل"، عـلى الرغم من أن انتصاراتها غير مهمة؛ كأن تمتلك الكلمة النهائيـة، أو المهـارة في ختام الكلمة، أو لكونها أكثر جاذبيةً وسحرًا منـه. لاحظـت فجـأة أنهـا تبدو مُتعبـة. لم تـنَم بـشكل طبيعـي لأيـام عديـدة، وكـذلك "جابرييـل".

حاولت خلال أرقها الطويل أن تُعيد بناء مقتل "ريبيكا"، ولكن لم يكن ذلك ممكنًا. في البداية، ساندها "جابرييل"، ثم توقَّف بعد ذلك:

- اذهبي للنوم، هيَّا اذهبي يا امرأة.

ضحك، وضحكنا كلنا، حتى "ناتاليا" التي كانت مُتجمِّدةً في ذلك الوقت، مثلي تمامًا.

عندما فتحوا زجاجتي بيرة وبدؤوا في ملء الكؤوس، فررتُ إلى الحمَّام. جلستُ على التواليت، مُستريحة للمناخ الدافئ والخانق داخل الغرفة، التي لم يمسسها شتاء البار الصناعي. فقط لمجموعة مثل مجموعتنا يُعتبر الفضول ممكنًا، يُتيح لنا الكلام علميًّا – بشيء من الكآبة - عن الاغتصاب، والموت دون أن نفقد شهيَّتنا. قرصت خدِّي أمام المرآة بعدما غسلت وجهي... "ناتاليا" قوية بما فيه الكفاية أمام هذه القصص. أعلم ذلك جيِّدًا. كانت هناك من أجلي، تحملني على ظهرها، وتسحبني إلى محطة الباص؛ لأننا لم نمتلك مالًا. تُخفِّف الحُمَّى بقطع القماش المُبتلَّة، وتُتمتم في صلاتها: "مجنونة، مجنونة لعينة، السلام الملائكي لمريم، المُفعمة بالنعمة...".

عُدتُ إلى الطاولة، حيث إن القصَّة مستمرَّة.

لم يمر من الوقت الكثير، على الأقل من وجهة نظر التحقيق الرَّسـمية، بين اكتـشاف جُثَّـة "ريبيكـا"، وإجبـار الـشرطة عـلى المجـيء إلى بوَّابـات المنطقة المُغلقة لتقبض على المُجرم. قالت "ناتاليا":

- خمس عشرة ساعة على الأكثر.

كان اختيارها للفعل مُتعمَّدًا؛ فالشرطة فعـلًا "أُجـبرت" عـلى الحـضور لأن المنطقة المُغلقة غـير مُـستعدَّة لانتظـار الكـشف البطـيء لإجـراءات التحقيق الرَّسمية. خمس عشرة ساعة، في بلد قد تأخذ فيه العدالة قرونًا. قالت "ناتاليا":

- لكن بالطبع لا يكون الوقت في صالح المُدان...

لم يحدث ذلك في حالتي؛ كما قال الأطبَّاء، لربما كان كل شيء مُختلفًـا لو أنه تمَّت رُؤيتي قبل ساعات قليلة. وعلى الرغم من ذلك طاردت هذه الساعات القليلة "ناتاليا". لقد فقدت الإحساس بالوقت، وفي النهاية كـان "جابرييل" هو الذي أرغمها على مُغادرة الغرفة، اسـتدعى تاكـسي وجرَّنـا جميعًا إلى المستـشفى. كنـت شـاحبة وبـاردة كالجُثَّـة، كانـت أختـي قـد خارت قُواها، وأخـذت تـرتعش، اختفـت عيناهـا وراء غـشاء مـن القلـق والرُّعب من كل هذه الدِّماء.

في الساعة الثالثة صباحًا، كُنَّا الوحيدين في البار. تكلَّم المُـصوِّر واضـعًا الختام للرِّواية فقال:

- نحن مُعتادون على هذا القرف، فلن يُفاجأ أحد بالسُّرعة التـي سـار بها الأمر. ولكن هل تخبرينني أنكِ ستقبلين الطريقة التي تعرَّفوا بها عـلى القاتل؟

طبقًا لما قاله شهود مجهولون لـ"ناتاليا" بأن النساء كُنَّ جالسات عـلى الرصيف المكسور عندما أتى إليهنَّ ولد. كان قد استحمَّ توًّا، قميصه داخل بنطاله، وفي يده لوح خشبي. لم ينطق بأي كلمة تجعلهن يعرفنه، تبادلن بيـنهن النظـرات، مثـل الطيـور. ابتـسم لهـن الولـد قبـل أن يـسأل عـن "ريبيكا". رددن عليه معًا بصوت واحد، بصياح عنيف، أحدث جلبة:

- رجال سكارى عماهم الكحول يتعطشون للدماء.

عند هذه النقطة، كثَّفت "ناتاليا" الحكاية:

- علَّقـوا الولـد في عمـود إنـارة بـرزت أشـعَّته الـصفراء جـسده مثـل الكشَّاف. ما حدث بعد ذلك كان دراميًّا بالفعل، أحـاط الرجـال والنـساء والأطفال بالصبي المصلوب، نافثين غضبهم كـما لـو كـان هـذا كرنفـالهم، ولكنهم بدلًا من الرقص رجموه بالحجارة، والعِصيِّ، والأحزمة باسم الملكة الميِّتة.

قال "جابرييل" إنه عندما أنزلته الشرطة من العمود، كان شبه ميِّـت، تهشَّم رأسه وجسده، وتمزَّقت ملابسه. أضافت "ناتاليا" ملحوظة عاطفية:

- لا تزال "إنجيليكا" تحتفظ باللوح الخشبي. أحضر هدية لـ"ريبيكـا" لوحًـا مقطوعًـا لمطـبخ جَـدَّتها. قالـت إنـه كـان نجَّـارًا، يبلـغ ثمانيـة

عشر عامًا، طوله خمسة أقدام ونصف القدم. في روايته اعترف بأنه كلـف نفسه مرَّتين من أجل "ريبيكا".

عندما تحدَّثا، بدا "جابرييل" و"ناتاليا" كأنهما مُذيعا نـشرات إخباريـة في التليفزيون. يُتمم كل منهما على كلام الآخر. فلا عجب إذا كان لـديهما ثلاثة أطفال. ليس واحدًا، بل ثلاثة. وفي كل مرَّة تصير فيها حاملًا، تنظر لي أختي بعينين تشعران بالذنب، كما لو أنها تريـد أن تُجنِّبنـي أيَّ ألم، عـلى الرغم من إخباري لها بألَّا تقلق، فأنا سعيدة من أجلها. قالت "ناتاليا":

- لا يتوقف العمل في أي جريدة طوال الوقت.

قالت ذلك قبل مواعيد الإغلاق مباشرةً. في تلك الليلـة، عنـدما أرادت تقديم ملفها الشخصي عن القاتـل دون أن تُـصدِّق كلمـة. قالـت لـرئيس تحريرها:

- كان يمكنه أن يكون من المُتفرِّجين الأبرياء.

ولكنها اعترفت لنا بأنهـا لا تعـرف. ارتـسم عـلى وجههـا النَّـدم، عـلى الرغم من إذعان كلماتها. لقـد أدَّت عملهـا. وكـل مَـن تحـدَّثت إلـيهم... "إسحاق شينجانو"، و"سول روسالس"، و"روك باندو"، و"خوان بوستوس"، و"جوانا نومين"، وكيل النيابة، والمُحقِّق، وزعيم القريـة، وجَـدَّتها... كلهـم أخبروها بأن القضية أُغلقت، والمنطقة قالت كلمتها، وأن العدالة أخـذت مجراها؛ لأنه تمَّ القبض على المُجرم. قال "جابرييل":

- كانوا في أمسِّ الحاجة إلى إلقاء القبض على أي شخص.

التضحية بأي شخص ستُعيد المياه إلى مجاريها، وتجعلهم يستأنفون حياتهم. فكَّرت: "شخص ما يُنقذهم". بالضبط كما أنقذتني "ناتاليا". بالضبط مثلما تُريد الآن؛ إذا تحاول أن تُقنع "جابرييل" بأن يسمح لها بأن تنجب لي طفلي.

أخيرًا، أوقفوا المُكيِّف، عندما فعلوا ذلك، ساد صمت واضح ومُجلجل. شعرتُ بأن الأضواء أُضيئت في الغرفة المُظلمة. سأل "جابرييل":

- كيف عرفوا أنه الجاني، ما الدليل؟

فأجابت "ناتاليا" بابتسامة مريرة:

- عرفوا أنه هو لأنهم ربطوا قدم "ريبيكا" اليُسرى بشريط أحمر، لإحضار القاتل، وكان هو أوَّل مَن أتى وسأل عنها.

سألتُ بشكل ظالم، كما لو أن أختي من المُفترض أن تعرف إجابة كل شيء:

- وماذا فعلتِ بعد ذلك؟

ردَّت "ناتاليا":

- كتبت قصَّتي بأفضل ما يُمكنني.

الفتاة



1

غادرت الفتاة الطَّاولة على عَجَلٍ، وعلى الرغم من أن الآخـرين ادَّعـوا اللا مُبالاة، لم يستطيعوا إخفاء فُضولهم فترةً طويلـة. مـع وصـول العـشاء لنهايتـه والأكـواب شـبه فارغـة، التفُّـوا حـول الموضـوع الـذي ظـلَّ دون مساسٍ، ولا مفرَّ منه... "إيدا" مثلًا، لم تستطع الانتظار لفتحه، فقالت:

- حسنًا، يبدو أنك كسرت القاعدة هذه المرَّة، أليس كذلك؟

ارتعدت شفاههم. قال "بلاس" بابتسامة قهرية:

- ليست بمشكلة كبيرة يا "إيدا".

وأخبرها "دوك":

- أنتِ مُتزمِّتة!

- ها أنت تعود للنقطة نفسها! لا نستطيع أن نقول أن شيئًا مـا قـذر ما دُمت أصبحت عالمَ بيئةٍ.

"عالمَ بيئةٍ" هي الكلمة التي تُطلقها "إيدا" على أي شخص يكون عـلى حقٍّ سياسيًّا. في الآونة الأخيرة، أصبح هذا الأمر يُزعجها، كـما فعـل "دوك" نفسه. سألها "دوك":

- قولي الحقيقة يا "إيدا"، ما أكثر شيء يُزعجكِ؟

أضاف بنبرة قوية:

- الوشم، أم لأنها إسبانية اللسان؟

نظر "بلاس" الذي كان يلعب بالمنديل الورقي ليعرف مدى تأثير الكلمات على "إيدا":

- لا تُبالغ.

والتفتت "إيدا" إلى اليمين، لمست على نحو خفيف يد "بلاس" المُمسكة بالمنديل.

- "بلاس"، سامحني لأنني قُلتُ ذلك، ولكن هذه البنت حقيرة، انتهى الكلام.

- انتهى الكلام؟

ضحك "دوك"، وربت على كتف "بلاس":

- لا تُؤاخذها! البنت مُدخِّنة شَرِهَة، يا رجل. وشيء آخر...

وفي هذه المرَّة، رفع حاجبه الأيمن، ونظر مباشرةً إلى "إيدا".

- إنها أكثر دُنيويَّةً من أي فرد آخر على هذه الطَّاولة.

الفتاة، التي لا يذكرون اسمها، فيها من الوشوم أكثر ممَّا تراه العين المُجرَّدة. حقيقةً، إنها رائعة، لذلك حاولت "إيدا" بأقصي جهد ألا تُعيرها انتباهًا بعينيها، ولكنها خطفت نظرة إلى الطائر الممدود على عُنقها.

- إنه على طراز "الماوري"!

قالتها الفتاة وهي تغمز بعينها، على وعي تام بفضول "إيدا". وراح "دوك"، أكثر الموجودين صفاقةً، يُحدِّق علانيةً كلما تحسَّس "بلاس" بأصابعه على الثعبان الملفوف كالخاتم حول إصبع الفتاة. أمَّا "بلاس"، فكانت تنتابه حالة انتصاب كلما تأمَّل باقة الزهور التي عانقت إحدى الرُّكبتين مُتَّجهًا إلى سمَّانة ساقها، وصولًا إلى كعبها.

لم يكن "بلاس" بالفتى الذي لديه خبرة الكافية. وبالنسبة لـ"إيدا"، فكانت هذه هي المشكلة؛ فهو تنقصه خبرات الحياة، يمكن أن يخدعه أي فرد. ولمَّا كان طيِّبًا، ويثق في الآخر، وصريحًا، استسلم للأسف لأوَّل فتاة أبدت له اهتمامًا! لا تعني "إيدا" أن تكون الفتاة استغلالية على الرغم من أنها لا تُظهر ذلك في الحقيقة، فـ"بلاس" ثري، ولاحقت فتيات كثيرات أمواله من قبل دون أن يتخلَّين عنه حتى لا يتركهن يومًا ما. وعلى الرغم من ذلك، كان "بلاس" مع الأُخريات رقيقًا، وودودًا، وأحيانًا سريع التَّأثُّر، ولكنه في النهاية لم يفقد شفافيَّته. كان يستمتع بالتَّباهي بهن، على الرغم من أنه لا يبدو أنه يأخذهن إلى السرير في الغالب، تشرب الفتيات مشروبات الصيف، ويملأن غُرف تغيير الملابس في المحلات التجارية، ثم يختفين

حينما يشعرن هن أو "بلاس" بالملَل. كُلهُنَّ الطِّراز نفسه؛ شعر أصـفر، أو بدرجاته، مع قصَّة أنيقة، رشيقات القـوام، يرتـدين الكارديجـان المقفـول عند الرُّقبة. مُحتـشمات إلى حـدٍّ مـا، قلـيلات الكـلام، ولكـن إذا تحـدثن، تسببن في رغبة الكثيرين فيهن. تربَّصت "إيدا" بهنَّ، وضحكت فـيما بعـد على إنفاقهنَّ للمال. عاتبها "دوك" على الفتاة وسألها:

- ما الذي طرأ عليكِ؟ أتسألينها عن وضعها المادي؟

فقالت "إيدا" متظاهرة بالحرج:

- لم أعتقد أنها ستأخذ الأمـر بجدِّيَّـة. ستُـسامحني يـا "بـلاس"، ألـيس كذلك؟

اشترك "بلاس" في الضحك، مُقرًّا بأنه لن يستطيع أبـدًا أن يـرى نفـسه يتقدَّم به العُمر مع إنسانة تُعبِّر عن نفسها بهذا الشكل:

- حسنًا، حتى لو أن الأزمة الاقتصادية لا تُؤثِّر عليك مُباشرةً، فـستظل تُـؤثِّر عليـك. أقـصد، يمكننـي أن أرى كيـف أن بعـض النـاس الـسيِّئين يستغلُّونها. أنا لا أتكلَّم عن نفسي، أو أي شيء، ولكن لي أصدقاء، ناس من عائلات مرموقة أفلسوا الآن، أتعلم هذا؟

(لم يتصوَّر "بـلاس" أنهـا لم تـزل تـتكلَّم)، وهـذا أسـوأ حتـى مـن هـؤلاء المُتشرِّدين الذين في الـشوارع. نفـوس تعيـسة، ولكنهـا اعتـادت عـلى ذلـك. (هل هي فعلًا تُشير إليهم بأنهم نفوس تعيسة؟). الفقر يُمثِّل مشكلة فقـط

لهؤلاء الذين يعرفون الحياة المرفهة، وفجأةً يفقدون أموالهم وعملهم. هذه هي المأساة الحقيقية.

لا يمكن شطب الفتاة الجديدة بسهولة. لقد رأيتها من على بُعد أميال عديدة، وحتى في قلب مدينة مثل برشلونة. كانت مختلفة، حتى إن "بلاس" بدأ يتخيَّل حياتهما معًا، مُستخدمًا ضمير المُثنَّى في حديثه، مثل "نحن ذاهبان إلى..." وما شابه، ممَّا أثار غيظ "إيدا"، وتأثر به "دوك"، الذي شعر بالارتياح في نفسه لأن "بلاس" لن ينحشر بينهما. الفتاة، مثلًا، ليس لديها صبر على الإتيكيت، أو القواعد التي وضعها المجتمع. يُرهبها أي شيء إلا الشكليات الأخلاقية أو الجمالية أو الثقافية لعالم تعلم أنها دخيلة عليه. إنها ذكية، ولكن مُشتَّتة. لا تخاف من أنها تضحك على نفسها أو الآخرين، وخاصة "إيدا". من الواضح جدًّا أنها لا تُرغم على الجلوس بهدوء، وأن تبدو جميلة. والأهم أنها لا تسكت عن أي شيء لا يعجبها. وهذا أكثر ما أحَبَّه "بلاس"، وجودها المُفعم بالضجيج، وافتقارها إلى احترام المسافات الشخصية، وأهم شيء الطريقة التي خنقت بها "إيدا"، وأطفأت نورها. قالت "إيدا":

- لا يمكن أن تثق فيها، فقط انظر إلى عينيها، وستعرف أنها مجنونة. قالت لنا بنفسها إنها تسبَّبت في جنون زوجها، قتلته تقريبًا، وها أنت الآن، تُقدِّم نفسك خروف أضحية.

تدخل "دوك" قائلًا:

- كان مخبولًا حقًّا يا "إيدا"، ومنعدم الأخلاق. إن لم تُطلق عليه الرصاص، كان سيقتلها. ما بوسعها أن تفعل غير ذلك؟

ظلَّ "بلاس" صامتًا. فقالت "إيدا" صائحة:

- المرأة المجنونة فقط هي التي تتزوَّج خسيسًا!

شعر "بلاس" بارتياح عندما رأى أن طعنات "إيدا" في الفتاة فقدت قوَّتها. ما بدا لـ"إيدا" بأنه علامة على الجنون تقبَّله "بلاس" و"دوك" بكونه جزءًا من شخصية الفتاة المُفعمة بالحيوية. غير أن هذا لم يمنع "إيدا" من الغمغمة. أليست فروة الرأس الموشومة والمُخبَّأة تحت كتلة كثيفة من الشعر، علامة على مرض؟ لقد وشمت الفتاة ابنها ابن العامين كرمز لعلاقتهما الروحية، ألا يُفترض أن يصبح مكانها في مستشفى الأمراض العقلية؟

كيف لأم تتكلَّم ثلاث لُغات، ومعها شهادة جامعية، تترك ابنها خلفها مع أجداده، في قارَّة أخرى، لتُجرِّب حظَّها في بيع المشروبات على الشاطئ؟

ردَّدت "إيدا":

- اللَّعنة! إنها مجنونة!

ولكن كلماتها أصبحت غير ملحوظة، مثل المطر. أخذت تُفكِّر الفتاة من وقت لآخر في السبب وراء استهجان "إيدا" لها.

- إنها لا تُحبُّني، أليس كذلك؟ لو أنني سأتعامل مع الأمر كطفل لقلتُ إنها تكرهني.

- كلام فارغ! هي لا تكرهك... "إيدا" صعبة المِراس، ولكنها ليست من هذا النوع من البشر. لا تأخذي الأمر بشكل شخصي.

فأضافت الفتاة بمسحة خُبث:

- لا، أنا لا آخذه بشكل شخصي. إنها...

حبس "بلاس" أنفاسه مُنتظرًا الضربة. ثم ابتسم:

- مسيطرة؟ أهذه الكلمة التي تُريدين قولها؟

أومأ، فأطلقت الفتاة ضحكة رقيعة قائلة:

- إنها غير طبيعية.

وبينما تتكلَّم، شاهد "بلاس" حركة شفتيها، إنها مُبتذلة على نحو شهي. لقد أثارته الفتاة، وكان حريصًا على امتلاكها.

- دعكِ من هذا، وانسي "إيدا"، ستعتاد كل مُنكما الأُخرى.

لم يكن أمام "إيدا" خيار غير أنها تعتاد الموقف. فإمَّا اعتياد الأمر، وإمَّا اعتياد عدم رؤية "بلاس"، الذي لم يعد يتلقَّى مُكالماتها. ومع ذلك فإن استسلامها المفروض عليها لم يهوِّن عليها فكرة تقبُّل الفتاة، أو

يوقفها عن اختراع كل أنواع الشر لتستهزئ بها أو تـتخلَّص منهـا تمامًـا. لم تستطع "إيدا" منع نفسها، لكن بدأت قوَّتها عـلى الابتكـار تـتلاشى، ورأت تأثيرها على "بلاس" يتقلَّص إلى لا شيء.

على أي حال، "دوك" هو أوَّل مَـن رأى الأمـر بوضـوح. ولـيس معنـى ذلك أنها لم تكن واضحة بعد فترة؛ "بلاس" سيتزوَّج، وعـلى أي شـخص أن يتقبَّل هذا. بدا الأمر كما لو أن "بلاس" احتاج إلى أن يُثبت لـ"إيدا"، ولكل العالم، أنه رجل بالفعل، وأنـه يـستطيع أن يتعامـل مـع فتـاة في غرابتهـا نفسها. ولهذا السبب، في رأي "إيـدا"، ولحُـسن حـظِّ الفتـاة، أَعـدَّ لزفـاف مُبتذل ويائس. كل شيء كـان يفتقـر إلى الـذوق، ومليئًـا بالرَّمزيَّـات مـن أغطية الكراسي الفوشيا والذهبية إلى الحَمَام الأبيض الـذي تـم إطلاقـه في آخر الاحتفال. تدلَّت أضواء الكريسماس من كـل شـجرة، وعبَّـأت المكـان رائحة البخور الطاغية. توهَّج "بلاس"، في ملابسه الرسمية، برضـا الـنفس. لم يُقاوم التَّحدُّث عن خُطط شهر العسل. استقرَّت رغبة الفتاة الـشديدة على رحلة إلى الأمازون. وكان هـذا شـيئًا لم يفهمـه أحـد مـن أصـدقائه... "بلاس" في قارب صغير تُحيطه التماسـيح، والبعـوض، والنباتـات المُـضيئة. لكن وصلت كروت من "بلاس" ليثبت وصوله إلى هناك، لقد تغلَّـب عـلى مخاوفه الطفولية، وغمر نفسه في هذا النهر العَكِر المدعو بـ"مـادري دي ديو" المُحاط بدلافين الأمازون الوردية ذات الرؤوس التي تُشبه البطيخ.

- أمر لا يُصدَّق!

هكذا وصفته "إيدا". بينما وصفه "بلاس" بشيء "غير عـادي". في حـين أن الفتاة التي تُـؤمن بـأن النهـر يـشفي مـن كـل شيء، ألقـت بجـسدها العاري في الماء، وسـبحت مـع الـدلافين، ثـم اسـتلقت عـلى الـضَّفَّة حتـى تُغطِّي شـعرها، وكتفيهـا، وكـل جـسدها، بالوحـل وسرب مـن الحـشرات. الحشرات خطرة، كما ذكرها "بلاس" بذلك، وهـو يراقـب أشـعَّة الـشمس تلمع على انحناءات جسدها. اعتقد "بلاس" أنه يستطيع أن يرى حركـات يدها الإلهية، واحدة ليأكل منها بيض السلاحف، والخنزير البري، وسـمك البيرانا، والنمل، ونبات "الكاسافا" المهـروس، والبطاطـا؛ والأخـرى ليـشرب منها البرانـدي، وعـصير القـصب، بتوجيـه مـن الطبيـب الـساحر، وخمـر الهلوسة من الكروم المُزهرة المُقدَّسة، التـي جعلتـه يـسهل ويتقيَّـأ طـوال الليل، وكأنه شكل من أشكال التطهير.

2

عندما عادا من شهر العسل أخذ "بـلاس" الفتـاة إلى شـقَّة أَجَّرهـا في "أورتـا جينـاردو" بـالقُرب مـن حديقـة "جويـل لجـاودي"؛ لأنـه أراد أن يُفاجئها، وفكَّر أنه، قريبًا جدًّا، سيأتي بابنها ليعيش معهما، وسيأخذانه إلى الحديقة ليلعب. حتى إن "بلاس" تكلَّم مـع أجـداد الطفـل، لكـن الفتـاة غضبت جدًّا، واعتبرت أن هذا كمين. وبالغت في ردِّ فعلها، فصاحت:

- لن أسمح لك بالتَّحكُّم في حياتي، ولا تعبث مع ابني!

ليس "بلاس" من النوع الذي يتوسَّل، لكنه توسَّل هذه المرَّة، ووعـدها بأن كل شيء سيسير كما ترى هي؛ بدءًا من قائمة البقالة، وانتهاءً بخُطـط الإجازات. لم ترد الفتـاة. مـن الاختيـارات الموسـيقية، حتـى قـوائم طعـام الصيف. ما زال الصمت البارد. من منع الحمل، إلى زخرفة البيـت. ولكـن لا شيء. ركع "بلاس" على رُكبتيه. الأفـلام والتمـشية، الفـوط والحيوانـات الأليفة، كل شيء سيسير كما تـرى هـي. وأخـيرًا ضـحكت الفتـاة. أخـذت وقتها الحلو، ولكن في النهاية منحته العفو الـذي يتلهَّـف عليـه، وأخلـت نفسها من الذنب، واكتـسبت الحـق، بعـدما قالـت "إيـدا": "تملأ الـشَّقَّة بالتَّفاهات". علَّقت قطع قماش من "السارونج" أعلى الرسـومات الأنيقـة التي يُفضِّلها "بلاس"، وغطَّت كراسي الصالون البيـضاء بأقمـشة "الإنـديز" المُبهرجة، وتتدلَّى من كل مصباح حلية مـن المعـدن المُحكـم، وربطـت في كل واحـدة صـورًا لــ"بـوذا"، وشـعارات الاعـتماد عـلى الـنفس، وقـصائد انتحارية. لم تستطع "إيدا" حتى أن تحمـل نفـسها عـلى الـضحك عليهـا، ولكنها أصبحت الآن قلقة بالفعل:

- مَن وضع هذه القاذورات في منزلهما؟

- دعكِ من الأمر يا "إيدا".

قال "دوك":

- إنها تضعها لما تشعر بـه مـن عـدم ارتيـاح. البنـت ينتابهـا الـصُّداع النِّصفي.

- عندما يتَّجه هـذا الكـائن إلى الجنـوب، وسـيفعل، سـيكون أنـا مـن يعاني الصُّداع النِّصفي.

واستطردت مُغمغمةً وهـي تـشطف الخَـسَّ لوجبـة الفطـور المُتـأخِّر ليوم الأحد:

- أنتما يا شباب تعرفان أن شيئًا ما سيحدث بينهما، ومع ذلك فـأنتما تختاران تجاهله.. "بلاس" ما هو إلا دُمية.

ومـع ذلـك، بعـد أشـهر عديـدة، رأى "دوك" و"إيـدا" أنـه لـيس مـن الضروري إبداء آرائهما؛ لأن "بلاس" بدأ عقله يرجـع إليـه. فقـد عـاد مـن آخر رحلة عمل مشحونًا كقطار البضائع عازمًا على الاستقرار فـيما سـمَّاه حياة السيطرة، التي يعيشها كيفما يهوى ويُريد. هذا هـو "بـلاس" الـذي عرفاه. حتى إنه جعل الفتاة تـترك عملهـا في بـار الـشاطئ، وأقنعهـا بـأن تمتهن بعض الترجمة التي عرضها "دوك"، إذ قال:

- افعلي ذلك من أجلي يا عزيزتي.

فأجابت وهي مُمدَّدة على الأريكة، وتبدو مُتعبة:

- ومَن غيرك سأفعل ذلك من أجله؟

وبالطريقة نفسها، وضع نهايـة للأشـياء الـصغيرة، فبـدأ بـالمطبخ، ثـم اجتاح الشَّقَّة كلهـا. في أحـد الأيـام، جمـع كـل الجـوارب والمرايـا والحُـلِيِّ

ووضعها في صندوق، مُعلِّلًا بأنه سيُعيد طلاء الحوائط، واختفى الصندوق بعد ذلك.

في إحدى الليالي، قال "دوك" مازحًا:

- يا إلهي! كل شيء هكذا... رصين وهادئ.

ركلته "إيدا" من أسفل الطَّاولة. تظاهر "بلاس" بأنه لم يسمع، راح يُوزِّع كؤوس النبيذ. بينما الفتاة هبَّت واقفة على تعليق "دوك"، وقالت ووجهها شاحب شُحوب الموت:

- أنا لا أُؤمن بمنهج التقليل، للأسف الأمر تخطَّى الديكور، لقد فقد "بلاس" عقله، وأنا في حيرة من أمري.

لم يضحك أحد هذه المرَّة. ولا يفترض أن تكون مفاجأة مُطلقًا. فـ"بلاس" لم يحب قط التَّفاخُر العرقي، ويبدو أن الفتاة هي الوحيدة التي لم تُدرك هذا. الآن بدأت نارها تخمد، شيئًا فشيئًا كل يوم، إذ ترى "بلاس" في حالة مختلفة. ويُحسب لـ"بلاس" أنه عندما رأى الفتاة تتغيَّر، بدأ يُخفِّف شدَّته. فعلى سبيل المثال، ما زال تخطيط الأُمسيات في يدها، ففي نهاية كل يوم، يتمشَّيان على أنهار حمم اللافا في حديقة "جويل"، بين الأعمدة التي على شكل شجر. يتوقَّفان دائمًا عند الفسيفساء الزجاجي والسيراميكي، التي فتنت الفتاة، فهي تذكرها بالأمازون. لم يدفع "بلاس" الفتاة إطلاقًا لفعل أي شيء، على الرغم من أنه، مُقارنةً

بأسلوب الحياة المُملِّ والعمل في المدينة، وجد نفسه شاعرًا بالملـل بـشدَّة من أعيُن السحالي وزهور السحلبية، والطيور ذات الألوان الفاقعة. لمست الفتاة الأجزاء المُلوَّنـة، وتحسَّـست الهـاون بأصـابعها، وظلَّـت مفتونـة في صمت. أحيانًا تدفعها هذه اللحظات إلى هاوية الصُّداع النِّصفي الرَّهيب. أثار صمت الفتاة، الـذي كـان في البدايـة مُتقطِّعًـا، ثـم طـال بعـد ذلـك، غضب "بلاس". فالافتنان يتلاشى، وكذلك صبره المعـروف المحـدود. وجـد نفسه يُريد أن يهزَّها، كي تفيق، فتذكَّر كلمات "إيـدا" التحذيريـة بأسـف، لكن "بلاس" لم يستطع أن يبثَّ يأسه إلا لـ"دوك".

- يا رجل، إنها لم تعد تُريد أي شيء بعد الآن!

الفتاة لم تعد تأكل، ولا تنام، ولا تستحمُّ، ولم تعد تُريد الجنس. الشيء الوحيد الذي تفعله هو التدخين، عيناها صـارتا كمـلاءة الـسرير البيـضاء المُنقَّطة.

- يا إلهي، حتى صُداعها لا يُشبه صُداع الآخرين!

هكذا علَّقت "إيدا" مـن وراء ظهـر "بـلاس". لقـد مـرَّت بتجربـة الألم الفالق للرَّأس الذي يجعلها تنام في الشَّقَّة المُظلمة طـوال النهـار، وطـوال الليل، حتى اليوم التالي. ما كان غريبًا هـو أن الألم صـاخب. أسرَّت الفتـاة لـ"بلاس" وهي تتنهَّد:

- كأن أسرابًا مـن النَّحـل تطـنُّ في رأسي. يـستمر طنينهـا، ويعلـو، ثـم يعلو، كالحشرات المُندفعة في أسراب في الغابات المُطيرة.

لم يعرف إذا كان من المُفترض أن يُصدِّقها، ويُعطيها سيجارة حـشيش، أم ببساطة يتجاهل النوبات. لم يستطع أن يتذكَّر الغابات المُطيرة. بصرف النظر عن هذا، فهو لم يعد قادرًا على تحديد حـشرة الزيـز لـو أن حياتـه معتمدة عليها. كيف لـه أن يظـل هادئًـا في عاصـفة تـصم الآذان؟ قالـت "إيدا":

- انتظر وشاهد، لن يكونوا قادرين على اكتشاف أي شيء خطأ بها.

كان "بلاس" مُتعبًا؛ لدرجة أنه لم يـرد، في حـين التـزم "دوك" الـصَّمت. أخذت الفتاة تصرخ في المستـشفى بـلا توقُّـف. فـضَّل "بـلاس" أن يكـون التـشخيص عـن شيء مأسـاوي ومُميـت، لكـن الأطبَّـاء وصـفوا مُهـدِّئات، وأوضحوا أن كل ما فيها يكمُن في رأسها، مُثيرين وابلًا آخرَ من الشكوك.

يا له من كابوس سيئ أَلَمَّ بــ"بـلاس"! يقـف في الطـابور في الـصيدلية مُتوسِّلًا من أجل الأفيون. قالت "إيدا":

- كان ينبغي أن أطرد هذه القذرة بعيدًا عنك. ومن ثَمَّ تـستريح مـن هذه المُختلَّة عقليًّا.

والآن بعد أن استردَّت شيئًا من تأثيرهـا، حلَّـت الرِّقَّـة محـل التـوبيخ المُعتاد. اشتعل "دوك" غضبًا مـن "إيـدا"، واقفًـا في صـفِّ الفتـاة. غـير أن الفتاة لم تفعـل شـيئًا لمُنـاصرة قـضيَّتها، غارقـة في فيـضان لا ينـضُب مـن الدموع. في يوم من الأيام، حلقت رأسـها لـكي تقتلـع الألم. وجـد "بـلاس" نفسه نافرًا من فروة الرأس الموشومة.

- لن أقول لك إنني أخبرتك بذلك.

هذا شيء طبيعي من "إيدا". فقال "دوك" مُلاحظًا:

- لا، أنتِ أنيقة أكثر من اللازم.

فقال "بلاس":

- توقَّف.

أحسَّ "دوك" بالرغبة في ضربه، لكي يُجهض الميلاد الوشيك للماضي، ولكنه لم يمتلك الشجاعة الكافية. على أي حال، عرضت "إيدا" غُرفة الضيوف على "بلاس".

3

ودَّت الفتاة لو أنها تُؤذي "بلاس"، حتى لو بدنيًّا فقط، بطعنة مثلًا، أو خدش في العين، أو عضَّة، كما لو أن تركه بجرح مُدَمَّل أو واضح سيُخفِّف إلى حدٍّ ما من إحساسها بالخزي والهزيمة.

- أيها اللقيط، تتركني الآن لأنني صرت قبيحة!

هذا هو الشيء الوحيد الذي خطر على بالها لتقوله. حاول "بلاس" فيما بعد أن ينسى نشيجها، مثلما يحاول المرء أن ينسى عدم الارتياح الذي يصاحب المرض التناسُلي.

- رائع! عد إلى المرأة المثالية!

هكذا قالت، وأكملت:

- سوف تكبر مع "إيدا"، ولكن لن تُضاجعها! وخاصَّةً ليس في وجود هذا المخبول الآخر وهو يتسكَّع حولها كأنه قوَّادُها!

كان "بلاس" بالفعل يُغادر البيت، حينما صرخت الفتاة مرَّة أخرى وطوَّحت بطفَّاية سجائر زجاج، وبأخرى على الباب.

- خائن!!

قالتها وهي تضجُّ بغضب كل المياه والأعاصير والعواصف والأنهار الاستوائية حتى انهارت، ودخلت في نوبة صُداع نصفي.

ادَّعى "دوك" لاحقًا أنه مَن أنقذ الفتاة من صمتها. إن "بلاس" يعرفه جيِّدًا فلم يسأله، بينما ردَّت "إيدا" بأن "دوك" ليس من النوع الذي يُنقذ أُمَّه شخصيًّا. ومع ذلك، علم الاثنان أن "دوك" ذهب للفتاة. في فترة ما بعد الظهر، والشمس لم تزل تتسلَّل من خلال الستائر، أجبر جرس الباب الفتاة على فتح عينيها. قامت مُتثاقلةً من على الأريكة، ووضعت قدميها

الحافيتين على الأرضية، وانجرح باطن إحدى قدميها من شظايا الزجاج المُتناثرة. فتقافزت على الأخرى، وراحت تفتح الباب لترى نفسها وجهًا لوجه مع "دوك"، الذي جاء ليدفع لها حقوق الترجمة.

- أنت؟! ماذا تريد؟!

وصف "دوك" لـ"بلاس" و"إيدا" كيف أغلق الباب خلفه، وكيف أزاح بحرص قطع الزجاج المُتناثرة إلى جانب الجدار بمقدمة حذائه. قال "دوك" للفتاة:

- يا له من منظر! أليست هذه هي طفّايات السجائر الكريستال التي أهدتها لكما "إيدا" يا شباب؟ أوه، لقد كلّفتها مبلغًا باهظًا.

لم تُجب الفتاة، وظلّت فترة ساكنة تبحث حولها عن الصندل.

- ماذا فعلتِ بنفسك؟ دعيني أُساعدكِ.

ذهب "دوك" إلى دولاب الأدوية ونظّف قدمها، ولكن الجرح كان عميقًا.

- هيّا إلى المستشفى، سآخذكِ إلى هناك.

- على جُثّتي.

قالتها الفتاة بمنتهى الغضب. لم تعد صلعاء، بدت جميلة، كما أخبرهما "دوك" بذلك، فقطّب "بلاس" وجهه بتكشيرة بدلًا من الابتسامة.

لقد نما شعرها الأسود الكثيف مـرَّةً أخـرى بقـدر غطَّـى الوشـم الـذي في فروة رأسها، وأخفى الخدوش التي على رأسها. سألها "دوك":

- هل ما زلتِ مُتعبة؟

لمس صدغها. فقالت الفتاة وهي تنظر إلى الستائر المُغلقة إنه لا شيء يهم على أي حـال. غـير أنهـا اعترفـت بعـد ذلـك بـأن الـضوضاء لا تـزال موجودة؛ لدرجة أنها أحسَّت بأن عروقها تنتفض في جُمجمتها، وأنها رأت جميع أنواع الرُّعب في الليالي التي قضتها بلا نوم. وقالت أيـضًا إن "إيـدا" قد تكون على حق، وإنها قد تكون مجنونة. أحسَّ "دوك" بالنـدم، ووعـد الفتاة بأنـه سيـساعدها. وأغلقـت عينيهـا، وتركـت جـسدها يتـأرجح إلى الخلف والأمام. وأخيرًا قال وداعًا.

عندما رجـع "بـلاس" إلى الـشَّقَّة في "أورتـا جينـاردو"، وجـدها في حالـة يُرثى لها. ووجد أيضًا تذكرة طائرة عابرة للقارَّات على بطاقـة ائتمانـه. كـان يعلم أن الفتـاة لـن تعـبر المُحـيط مـن أجـل العـودة إلى قريتهـا، أو ابنهـا. ويعرف أنها تُفضِّل الموت على أن يراها ابنهـا في هـذه الحالـة. وكـان عـلى حق، فتقرير "دوك" أيَّد ذلك. على الرغم من اضطرابها، كانت تعلم أنهـا لا تريد أن يتذكَّرها ابنها بالمرأة المجنونة، التي تضجُّ من الألم. الـشيء الوحيـد ألذي أرادته هو أن تُلقي بنفسها في النهر. الـذي حـدث بعـد ذلـك أصـبح جـزءًا مـن الأسـطورة التـي سـيحترمها "بـلاس" و"دوك"، مـثلما سـتحتقرها "إيدا". صعدت الفتاة سـطح قـارب وشـقَّت طريقهـا مـع النهـر، مخمـورة

مثل الظربان، إلى أن ألقى المراكبي بجسدها المُتبلِّد عـلى ضـفَّة مُنحـدرة، حيث أخذها رجل عجوز. قالت "إيدا":

- أعتقد أن هناك ربًّا للمجانين.

وكما أوضحت الفتاة في رسالتها إلى "دوك" أنهـا فتحـت عينيهـا فقـط لأنها كانت مغلوبة من دخان التبغ الذي خيَّم على وجهها. جذبها الرجـل المُسنُّ بيديـه القـويتين ورفعهـا وكأنهـا لا وزن لهـا. تـذكَّر "بـلاس" يـدين صعبتين، ولُغة مُبهمة، وطعم شراب مرير ومُقرف. الفتاة عالقة في عُشب القسموس في الغابة. قال "دوك"، وهو مُتقزِّز، أو شاعر بالنَّدم:

- هذا الجزء لن تُصدِّقه. قطع الرجل العجـوز قطعًـا في فـروة رأسـها، وأخرج مئات من اليرقات والدهون، لديدان مُلتوية. إنها قالت هكذا، إن الطنين اختفى.

شحب وجه "إيدا". ورأى "دوك" - الذي يعتقد أنه يعرفها جيِّدًا - أنها أقرَّت بهزيمتها. وعرف "بـلاس" أنـه عنـدما اختفـى الألم في عينـي الرجـل المُسنِّ الـصَّفراوين، فقـد اختفـى معـه أي حـب كـان بيـنهما. ثـم أحـسَّ بالشَّفقة، وشرب مع "دوك" و"إيدا".

حمقاء تقع في الحُبِّ



"إذا وددت يمكنني أن أعطيك

شيئًا كلانا يعرفه

شيئًا سيجعل جسدك

كتمثال زجاجي مثالي".

- **"كلاوس وكينسكي"**

قبَّلها المُدير. إنها المرَّة الأولى في كل هـذه الـسنوات، لمـسات مُـتَرَدِّدة مـن الشِّفاه تتجلَّى في هدوء وبُطءٍ. سمحت "ماريا"، وهي مذهولة، وبـلا مُقاومـة، بأن يحـدث ذلـك، مُستـسلمة لـدوافع الرجـل البدائيـة التـي لا يمكـن كبتهـا. أغلقت عينيها تمامًا، كما لو أنها تُحاول أن تحجب الـضوء، لم تُـصدِّق أنهـما في مكتبه، وليس في أحد حمَّامـات الـضيوف. عنـدما فتَّحـت عينيهـا ثانيـةً، كـان ينظر إليها. لما أحسَّت بأنها تـتقلَّص تحـت نظرتـه البـاردة والحـادَّة، أسرعـت

إلى غُرَف تغيير الملابس. بعد ذلك بقليل، وهي تُهندم زيَّها، سألت نفسها إذا كان ينبغي أن تظلَّ تدعوه "سيِّدي" أم لا. ولكنها تعرف الإجابة. ستنبسط أساريرها لو أنها تُناديه بـ"عزيزي"، وتهمس في أُذنيه بأُغنية حب، وتضمُّه بين ذراعيها، ولكن... "ماذا لو فصلني؟". فكَّرت في ذلك لحظة اقتحمت دقَّات المصعد الرَّقيقة حلم يقظتها.

"أرامي"، فندق خمس نجوم له سحره، صدِّقيني. لو كنت هنا سآخذكِ في جولة، دون أن يعرف المُدير، سأُريكِ كل شيء. أعلم مدى حبُّكِ لهذا، لكل شيء؛ السجاجيد السميكة، "إمبريال"، هكذا يسمونها، المرايا التي من الأرض إلى السقف، ليست كهذه المشروخة المُبقَّعة التي اعتدنا أن نستخدمها في غرفة نو+منا؛ الكعك بالفانيليا في الطاسات الكبيرة، التي يمكن أن يأخذ منها أي فرد مجانًا، اللمبات الصغيرة المُتلألئة، على الرغم من عدم اقتراب الكريسماس، والمصعد، آه لو رأيت المصعد، يا "أرامي"، في حياتكِ ما دخلتِ شيئًا كهذا يا فتاة.

"ماريا" التي عملها تنظيف غرف النُّزَلاء طابقًا طابقًا، تعتقد أن المصعد أروع شيء من روائع الفندق العديدة. لديها أسبابها؛ وهي تجرُّ العربة الثقيلة المُكدَّسة بالفُوَط، وزجاجات "الإسبراي"، وخرقات الأقمشة البالية، إنه عمل شاقٌّ. يا إلهي، يمكنها أن تشعر بثقل كل سنة من سنوات عُمرها السِّتِّ والستِّين. لكن، لا، وتُفكِّر، ما الذي تشكو منه؟ على أي حال،

الفندق مُكتظٌّ بالأشياء الجميلة، ولكـم عاشـت في القُـبح، وعملهـا جيِّـد، حتى في الأيام التي يدفعها المُدير فيها للبُكاء، على الـرغم مـن أن أحيانًـا، مثل اليوم، كانت الأيـام... لا... لا تـشغلي بالـك، مـن الأفـضل ألا تُفكِّـري فيها.

في البدايـة، عنـدما بـدأت لتوِّهـا في العمـل في الفنـدق، اعتـادت أن تستدعي المصعد إلى الطابق الموجودة فيه، وتتأمَّل لكم هي أزرار أنيقـة؛ مُسطَّحة، وليست مُدوَّرة، ومن صُلب لامع، وليست مـن البلاسـتيك. إنهـا تكره أزرار المصعد المُدوَّرة كـالتي في مـصعد العـمارة التـي تـسكن فيهـا، التي يُحاول بعض الأشخاص الأشقياء أن يُشعل فيها النار بالولَّاعة، وبمرور الوقت صارت سوداء وقذرة. آه لو تستطيع تنظيفها... حقًّا، مـثلما تفعـل في الفندق، مع كـل زجاجـات بـخِّ البرفانـات والكيماويـات التـي يُوزِّعهـا المُدير. رجل طويل القامة، شعره بُنِّي فاتح، دائمًا مُتعجِّل، يتكلَّم الإسبانية بلكنـة "تيوتونيـة" جعلتهـا مـن الـصعب أن تفهمـه، مهـما اقتربـت منـه لتسمعه.

ولكـن لـيس الفنـدق فقـط الـذي أحببتِـه، يـا "أرامـي"، آه لـو رأيتِـه بعينيكِ، ستعرفين ما أعني، ستتذكرينه يا أختي، مـن المـستحيل إذا رأيتـه ألَّا تتذكَّرينه. إنه يتحدَّث مثل "فريتـز"، أقـسم عـلى ذلـك، بالـضبط كـما كنتِ تعلمينه، أيام كنا في بيتنا في القرية.

هذا صحيح، في زمن آخر، وفي بلد آخـر، علَّمـت "أرامـي" رجـلًا آخـرَ بعض الكلمات "الجورانية". وبطريقة درامية، رفعت يده الكبيرة البيـضاء - كما لو كان أعمى – نحو شفتيها، وقالت له:

- هذه الكلمات Voi potá معناها "أُحِبُّك".

دفعها إلى طاولة معدنية، وربط ذراعيها، وأمسك برأسها بقـوَّة تحـت الضوء، ثم أمال وجهه، ليقترب من وجهها؛ لدرجة أن رُموشهما تلامست.

تنهَّـدت "ماريـا"، تُفكِّـر في الأزرار، آه لـو أنهـا تـستطيع تنظيفهـا.. التنظيـف وسـيلة لمحـو القـذارة مـن وجودهـا.. "التنظيـف شـفاء". لقـد أخبرتها بذلك أختها "أرامي"، توأمها، مرَّات عديدة. كانتا مُتشابهتين تمامًـا ما عدا العينين؛ فلــ"أرامـي" عـين خـضراء، والأخـرى زرقـاء مثـل القطـط المختلطة. تقول "أرامي":

- Quesú تعني سيئة.

ولربما هذا هو الـسبب في أن "ماريـا" مُغرَمـة، مـن بـين كـل الأشـياء، برائحة الكلور. كما كانت تحب أن تقول، تـستطيعين أن تبيـضي أي شيء، حتى الدم، كل شيء، إلا الحب. تختفي بُقع العَرَق من ملابسك، وتـتلاشى أي سوائل أخرى قد تصيب بشرتك... هذا ما تعلَّمته عندما كانت صـبيَّة. يمكن لجسد المرأة أن تتجدَّد رائحته. قـد تـتلاشى الـذكريات بـالتبييض في

حوض ماء بصابون. فقط اغمُري نفسكِ في الماء كالقميص المُتَّسخ، ودلِّكي بشدَّة كل جسدك، وبذلك يتم حل المشكلة. لو أنكِ تقدرين أن تقومي بعمل غرغرة بالكلور. في الماضي، ذات مرَّة، في القرية، شربت "ماريا" كوبًا من الكلور بسبب رجل، ذلك الرجل لم يحبها قط. لكنها نجت. استيقظت في المستشفى، وقد التهب المرِّيء بشكل خطير. كانت "بنتًا شرِّيرة"، أوَّل كلمات سمعتها حينما فتَّحت عينيها، كان صوت "أرامي": "شرِّيرة!".

لم تكن هناك حاجة إلى ذلك يا "أرامي". فكل ما أردته هو أن أبتعد عن طريقكِ. لا تنسي أن ذلك كان قبل مُغادرته القرية بكثير، قبل أن يصل كل أولئك الناس الغضبانين، يطرحون الأسئلة، ويأخذون الصور، والأفلام. هؤلاء الناس جاؤوا من مسافة بعيدة يا "أرامي"، لكنكِ لم تريهم على الإطلاق، لأنكِ تركتِنا في الليلة نفسها التي قال فيها لكِ وداعًا.

مرَّرت أصابعها على أزرار المصعد، تُفكِّر في مدى حُبِّها لها. كل شيء ناعم جميل! الشَّعر المُرسل الطويل، ورائحة الملابس المكويَّة حالًا، وملمس السرير المفروش توًّا، وأرضية المصعد.. إنها من الرخام، اللامع تمامًا، من الأسهل بكثير تسيير العربة عليه من مشمَّع المستشفى. لقد عملت "ماريا" في مستشفى ذات مرَّة. لم تكن المصاعد هناك حديثة؛ فلا موسيقى، ولا نظام إنتركوم للطوارئ، ولا أضواء. حسنًا، ليست كأضواء مصاعد فندق خمس نجوم، التي كانت تبدو في عيني "ماريا" كأضواء المسرح المُتلألئة،

ولا تعلق به رائحة الدم القميئة، بالإضافة إلى ذلك، هـذا المـصعد واسـع، فتستطيع أن تضع فيه العربة بأكملها دون الحاجـة إلى حـشر نفـسها إلى الجدار، بل هناك مُتَّسع لتنظر إلى نفسها في المرآة كبـيرة الحجـم. نظـرت "ماريا" إلى أعلى، وسـمحت لـ"أضـواء المـسرح" أن تغمُـر وجههـا. لـديها بعض المعلومات عن المسرح، عن الغناء. في الواقع، كانت تحب الغنـاء في الحمَّام، وفي المـصعد. حـسنًا، فـيما يتعلَّـق بالغنـاء فهـو فعـلًا يحـدث في الحـمَّام فقـط، أمـا في المـصعد فبمجـرَّد أن تُحـرِّك شـفتيها بـالكلمات، سيسمعها شخص ما، ووظيفتها تُهمُّها. تُهمُّها حتى أكثر من المُـدير، الـذي تحبه كثيراً، ومع ذلك، لا تعرف كيف تتحدَّث إليه.

ذات يوم، ظهر الرجل الذي تسميه "أرامي" بالعم "فريتز" في القريـة. فيما بعد، بعد رحيله المفاجئ، روى الناس عنه حكايات؛ كان يحب حقن النـاس في أعيُـنهم، واعتـاد أن يـسلُقَ الأطفـال وهـم أحيـاء، فنـاء منزلـه الخلفي عبـارة عـن مقـبرة مُنخفـضة. لم تعـرف لمـاذا تكلَّمـوا عنـه بهـذا الشكل. كل ما عرفته أن يـده ثقيلـة، وأنـه طبيـب، ويعـرف كيـف يـترك بذرته الممتازة بداخلها. تهمس "أرامي" في أُذنه بكلمات تعنـي أكـثر مـن أُحبُّك؛ لأنه اختارها بدلًا مـن "ماريـا". مـن المُؤكَّـد أن هـذا كـان بـسبب عينيها، اللتين تُشبهان عيني القطة السيئة، التي بها لمـسة مـن الـشيطان. كان يُغنِّي لها:

- **"أرامي"، يا سمائي الزرقاء الصغيرة.**

لهجته "التيوتونية" تأخذ شكل إيقاع موسيقى "البوليرو". سمَّاها والداها "أرامي" بسبب لون عينيها الثُّنائي، اللتين ظل ينظر فيهما مرَّة بعد المرَّة، كما لو أنه مهووس.

حتى الآن تعرف "ماريا" أنها جميلة. كانوا يدعونها "مُهرة"، منذ أن أدركت سن البلوغ، مُهرة سمراء قليلًا بعينين سوداوين. تقف مُنتصبة، تتأنَّق أمام المرآة، تمسك وسطها بيديها، وتتلوى بأردافها كأنها لم تزل فتاة صغيرة. لقد وضع المُدير عينيه عليها منذ أوَّل يوم في العمل. فكَّرت في القُبلة. النازي العجوز، الرجل النازي العجوز. "نازي"، قالتها في صراحة كئيبة لجهلها، كأن الكلمة شظية تم استرجاعها من زاوية بعيدة من زوايا ذاكرتها، تحت سماء رطبة مليئة بالبعوض الكثيف مُشبعة برائحة الفاكهة العفنة. أراد المُدير أن يتفقَّد غُرَفها بعد الانتهاء منها. أخبرها في الحمَّام:

- يا لها من قذارة! قذارة!

لكن لا شيء كان قذرًا. أراد فقط أن يلتمس حُجَّة كي يدخل وينظر إليها ويدفعها عند المنضدة الرُّخاميَّة ويفرغ نفسه في جسدها... تعلم "ماريا" أن كل هذا مجرد خدعة، وأن حمَّامها نظيف للغاية، لولا هذه الحِدَّة الخفيفة في صوته... لا أحد يعلمها كيف تنظف. لا أحد. إنها إهانة، ولكنها تحمَّلتها لأن وظيفتها تُهمُّها. تُهمُّها؛ لأنه ليس من السهل العثور على هذا العمل في المقام الأوَّل، بعد سنين من كونها (مُهاجرة) غير شرعية. تُهمُّها، على الرغم من

أنها حصلت على أوراقها، ولم تعد في حاجة إلى احـتمال أي شيء، إنهـا مـا زالت تتحمَّلها ربما مثلها مثل "أرامي". على الرغم من غضبها من مُعاملـة المُدير، فإنها تنطق باسمه. كان يُناديها بـ"مارررريييا" بحرف الرَّاء المُتكرِّر والغاضب، ولم تعرف إذا كان يقصد السُّخرية أم شيئًا آخرَ.

آه لو سمعته يا "أرامي"، لعرفتِ ماذا ستقولين لي.

نشأ غضبها من حقيقة أن اسـمها، "ماريـا"، هـو الاسـم الفنِّـي الـذي اختارته. غيرته خلال سنوات عملهـا في ملهـى لـيلي، بـدلًا مـن "بانـامبي" الذي وُلدت بـه. نعـم، كانـت ذات يـوم فتـاة اسـتعراض؛ فتـاة اسـتعراض بالفعل. إنها تذكر نفسها بمسحة من البراعة المُتقدِّمة في العُمر؛ لـيس لأنهـا كانت تخاف مـن الجـنس، ولكـن لأنهـا اعتـبرت نفـسها فنَّانـة. منـذ متـى تحتاج العاهرات إلى معرفة كيف يُغنِّين؟ وحقيقة، هي تعرف كيـف تُغنِّـي وقد كانت، في أيام مجدها، جميلة مثل "ماريا فيليكس". تُفكِّـر؛ إنهـا ذات لمسة الجمال نفسها، الحواجب نفسها، وتُقـرِّب وجهها مـن المـرآة لدرجـة تكاد تلمس صورتها فيها. لم تبدُ لمسة الجمال كما هي على الجلد المُتجعِّـد. أبعدت "ماريـا" وجهها بعيـدًا عـن المـرآة، ولمـست الخطـوط العميقـة في خدَّيها. لقد سمَّت نفسها "ماريـا" عـلى اسـم "ماريـا فيلـيكس"، أو "مـريم المجدلية"، وليس "مريم العذراء". يا لرحمة الـرَّبِّ! العربـة ثقيلـة جـدًّا. في ضوء المصعد، تستطيع أن ترى نفسها كـما اعتـادت أن تظهـر بعـد الغنـاء،

في فستان قصير بدلًا من الزِّيِّ. تُبرز نهديها إلى الأمـام بـاعتزاز، لدرجـة أن أي شخص يمكنه رؤية قلبها وهو ينبض. حتى إنـه يمكنـه أن يـرى رفرفـة خفقانه السريع فيأخذها إلى حلبة الرَّقص.

ولكنه لم يفعل قـط. فـدائمًا هنـاك "أرامـي" قبلهـا. فهـي مثلهـا مثـل "ماريا" واحدة من الفتيات الأكثر شُهرةً في الملهى، ولكن عكس "ماريا"، لم تكن مُغنِّية. كانت تمتلك "أرامـي" طبيعـة مـاكرة مُتوحِّـشة. مـسجون في داخلها طائر طفل، وزوج مـن الأجنحـة القلقـة في صـدرها بـارز العظـام الهَشِّ. تُحِبُّ أن تمشي حافيةً في الحقول، وتحتضن الرياح، السماء، الكون، البرق، المطر الضبابي. تركت "أرامـي" البيـت، ورقـدت عـلى طاولـة بـاردة طويلة ودعته يحقنها بالمخدِّر، وبعدها لا تتوقف عـن مناداتـه بــ"عمُّـو" في كل مرَّة تفتح فيها فمها. كانت تسميه "الحكيم"؛ لأنـه أراد أن يُؤسِّـس عالمًا جديدًا، نظامًا جديدًا. تباهت بأنه سيـصلح عينيهـا، حتـى يمكنـه أن يترك محاسنه بداخلها بشكل أفضل. أحسَّت "ماريا" برعشة عندما شدَّت طرف الزِّيِّ إلى أسفل.

لقد كنتِ الشريرة يا ″أرامي″ والسيئة، لقد تركتني، تركتني وحدي.

نظرت "ماريا" إلى الضوء السَّاطع. تقول لنفسها "المُدير ملكي أنا". لقد تذكَّرت ذات يوم بعد الظهر.

- "بانامبي"، دعيني أمتلكه، يا "بانامبي" طيري بعيدًا كالفراشة.

توسَّلت إليها أختها؛ لأنـه لم يكـن مـن طبيعـة "أرامـي" أن تتـشاجر. عندئذٍ توقَّفتا عن الذهاب إلى السينما معًا. لقد نسيت "أرامي" كـل شيء عن "بدرو أنفانتي"، و"أوجستين لارا"، وحتى "جورج نجرتي"، الذي تـزوَّج مـن "ماريـا فيلـيكس". قالـت "أرامـي" إن"De porá" هـذه الكلمـة بالإسبانية تعني وسيم".

وسيم يا "أرامي"؟ هيَّا، أنتِ لا تـرين يديـه القبيحتـين، ورأسـه الـذي يشبه كُتلة من الخشب، وفكُّـه الـضعيف، وأسـنانه البـارزة مـن فمـه، لا ترين أنه متزوِّج، وأنه لا يعرف كيف يحب، وحتى ابنه يطلق عليه العـم "فريتز".

لا شيء من هذا يهم، كما تعلم "ماريا" جيِّـدًا، لأنـه كـل ليلـة، يظهـر "فريتز" بانضباط عسكري ويدعو أختها للرَّقص. يلفُّ بـ"أرامي" في القاعة وكأنها تطير، بالكاد أطراف حذائها تلمس الأرض. "ماريا" تُغنِّـي لـه وهـو يُغنِّي لـ"أرامي"، هامسًا في أُذنها "يا عزيزتي..". ولأنه رجل طويـل القامـة، يمكن لأي شخص أن يراه يميل نحو رقبة "أرامي"، فقط كي يسمعها وهـي تقول: "أنت وسيم". بينما أخبرها في الليلة السابقة لرحيله قائلًا: "جسمكِ أكثر من مجرد خلل عابر يا "أرامي". إنك تنتمين لي".

"مارررييااااا".

إنه صوت المُدير، بالنبرة الرهيبة نفسها التي تدفعها إلى الغضب.

من أين يأتي؟ لم تره في أي مكان. إنها دائمًا تتأكَّد من أنها بمفردها تمامًا. أطلَّت "ماريا" برأسها من المصعد، لا شيء. وضعت أُذنها على الإنتركوم، لا شيء. للحظة اعتقدت أن الصوت يأتي من بئر المصعد، ولكن لا...

"ماررررييييااااا".

سمعته مرَّة أخرى، إنه يأتي من جهاز الإرسال الذي نسيته في جيب زيِّها. ردَّت عليه. لم يكن يدعوها إلى مكتبه. قال لها:

- إن حمَّام الغرفة 205 قذر.

أثناء دفعها للعربة إلى خارج المصعد، نظرت "ماريا" لنفسها في المرآة مُجدَّدًا. ولكن في هذه المرَّة كان الضوء مُختلفًا. إنه يبدو الآن المصباح المُحمر المُتقطِّع الذي صرخت تحته "أرامي" وهي تضع طفلها الميِّت بعينين زرقاوين ميِّتتين. قالت القابلة:

- "أنامينبي"، نسل الشيطان.

ورأت "ماريا" مرَّة أخرى بُقع الدم، الطاولة الباردة الطويلة، وذراعي "أرامي" المُنهكتين الزرقاوين... قالت لنفسها: "النظافة علاج"، ومسحت

جسد أختها بقطعة القماش نفسها التي اعتادت أن تغسل بها جسم الرَّضيع. ولكن "ماريا" أخذت وقتًا طويلًا في العلاج، وأن تعود رائحة جسدها إلى ما كانت عليه، ولكي تتخلص من الرائحة القديمة التي علقت بها.

"أحبك جدًّا، يا أرامي"، ردَّدت في نفسها مرارًا وتكرارًا: السماء، الكون، البرق، المطر الضبابي، مُنزوية في ركن المصعد، العربة تسدُّ الباب، وجهاز الإرسال يُنادي: "مارييياااا".



ليلة الافتتاح



1

بنظرة إلى الخلف وإلى ما حدث أدرك أنه كان في إمكانـه أن يتجنَّبـه. يعلم أن "كارمن" ظهرت دائمًا في حياته بالصُّدفة، مُـصادفةٌ لا معنـى لهـا على ما يبدو انتهت بتغيير كل شيء. أليس من المهم بمـا فيـه الكفايـة أن يُعلن "تيترو كولن" العرض الأوَّل في ذلك اليوم على وجـه التحديـد؟ ذلـك اليوم الذي تغير فيه كل شيء بالنسبة له؟ لكنه لم يره، ليس بعد.

كان دائمًا غريبًا.. فريدًا لو شئنا الدقة. على أي حال، هو مُجرَّد عامـل في محل تنظيف، شخص تنتابه الحيرة قليلًا من الحياة، وبطئ إلى حدٍّ ما، لربما ذلك بسبب أن والديه لم يكونا شابَّين عندما أنجباه في هـذه الـدنيا. إنه شغوف بالموسيقى، والتي لم تكن شيئًا مُميَّزًا في الواقع، وخصوصًا مـع التكرار في وضع الملابس في الماكينات وإخراجها، وإضافة المنظف، والطَّـي والـكي. عـلى مـدار يـوم العمـل، بـدورات الغـسيل الجـاف والبخـار الآلي المعتادة، تُعَدُّ الموسيقى عُنصرًا مألوفًا، مُسَكِّنًا كلاسيكيًّا لمهنته المملة.

وليس من الغرابة أيضًا أن الأوبرا هي أكثر ما يُحبُّه من الموسـيقى – فهـي أذواق على أية حال – فقد أحـب الاسـتماع إليهـا بـصوتٍ عـالٍ. لا يمكنـك أن تذهب إلى محـلات التنظيـف في بـوينس آيـرس دون مُلاحظـة أن الـسَّمَّاعات تُسيطر على المكان أعلى الغسَّالات والمُجفِّفات. الشيء الغريب هـو أنـه وجـد

الرَّاحة في همهمة وحرارة الماكينات، إنها تُساعده على التفكير، لا ليتأمَّل أو يتفلسف؛ إنه يكره الإسهاب الفكري الذي لا يفهمه. بينما أحب، ببساطة وسلاسة، ترك العنان لخياله. في الفترات الطويلة، أثناء لفِّ الآلات بدوران مغزلي وعصر طويل، قام بتمثيل الأوبرا وهو يستمع إليها، ويغني بصوت عالٍ، واستخدم الدمى المصممة ببراعة ليمثِّل بها الشخصيات الرئيسية في الأوبرا. كان ما يفعله نسخة مطابقة تمامًا للمسرح الكوميدي في باريس الذي ورث حبه عن والده.

لا تمثِّل له دمى المسرح قطعة ذات قيمة عاطفية، بل كانت لُعبة. وجدها أبوه - الذي كان يومًا ما كهربائيًّا في أحسن مسارح بوينس آيرس - في المخزن منسية ومُغطَّاة بالغبار، وأخذها إلى البيت. واكتسب هناك قيمة مُقدَّسة من كونه من البقايا المُقدَّسة؛ لأن الحالة العصبية لأبيه منعته من لمس أي شيء هش، لقد وضع يده عليها للمرَّة الأولى بعد عودته من المقابر إلى الشَّقَّة الخاوية الحزينة. كانت الدمى عبارة عن نموذج مُفصَّل للمجموعة الباريسية ليلة افتتاح "كارمن". وكما أخبره أبوه بالقصَّة، فشلت ليلة الافتتاح فشلًا ذريعًا، وموت "بيزيه" بعدها بثلاثة أشهُر بالسكتة القلبية كان نتيجة مأساوية.

إنه يفتح محل التنظيف في العاشرة صباحًا، ولكنه يصل إلى هناك قبل ذلك بكثير. دائمًا في الثامنة صباحًا، لوقتٍ كافٍ لتفقُّد الآلات، وترتيب

المحل، وإعداد شُنَط البيع المُصطفَّة بكثرة على الأرفُف تحت المنضدة. كان حرًا ليفعل ما يحب قبل حلول الساعة التاسعة صباحًا؛ ليلعب بشغف كطفل. يأخذ دمى المسرح من على الرَّف، ويضعها على طاولة مُربَّعة في الجزء الخلفي للمحل، وراء الآلات، ويختار الموسيقى للأوبرا التي وضعها في ذهنه اليوم. بعد أن وضع الشخصيات بعناية على خشبة المسرح، ويقضي وقته في الاستمتاع بتحريك القطع بالدور حسب أدوارها في الأوبرا التي تتقدَّم ببُطءٍ.

ولأن المسرح كان مُعَدًّا فقط لتمثيل "كارمن"، كان يقضي الساعات في تصميم شخصيات ذات أزياء صغيرة للأوبرات التي يُفضِّلها، مُخرجًا الورق المُقوَّى المرسوم بفنٍّ "الظل"، ويرسم بالقلم الرصاص على الطيات الأنيقة للملابس، ثم يُضيف لمسات بالألوان. لم تكن هذه الدُّمى الورقية مُخطَّطة بشكل فوضوي، فكل قطعة مُبهرة بدقَّة واضحة، وفي أدقِّ التفاصيل. كان هذا تكريمًا لأُمِّه، المُتوفَّاة أيضًا، التي كانت خيَّاطة. لقد تعلَّم منها أن جوهر كل دور يكمُن في الزِّيِّ. فهو المظهر الذي يجعلنا نكاد نُصدِّق أنها حقيقية. فوالدته صمَّمت كثيرًا من الأزياء لأجساد في الخفاء. أجساد هي الآن في ذاكرته بلا أسماء، أجساد لم يُفكِّر قط في النظر إليها، ما عدا واحدً، جسد امرأة، مُثير، عارٍ تقريبًا، جسد أعادت أُمُّه توضيبه مرَّات عديدة، والذي شاهد تغيير هيئته في ليلة الافتتاح، ضخمة مُتصاعدة

في صوت عاطفي لافت، مغمور بالأضواء، تزدهر بـالملابس المُبهـرة. هـذا الجسد، جسدها، هو لـ"كارمن"، أفضل أعمال "بيزيه".

لم يعد طفلًا بخدَّيه السَّمينين، أو على الأقل اختفت تحت لحيته الحيوية التي تناسبه تمامًا. إنه الآن يفهم الأشياء بشكل أفضل، ووجد أنه يستطيع التعامل مع الوحدة، لأن والديه ما زالا حاضرين في كل شيء في تفكيره. في الحقيقة، يحسُّ بأنهما تقريبًا بجانبه. ولكلمة "تقريبًا"، التي ينبغي أن تُقال، تُمثِّل ثقلًا عليه، ولا سيما أنها أحيانًا تظهر له في أحلام يقظته. مرَّت أربعون سنة ولم يزل يرتعش عندما يتذكَّر ضحكتها، تلتفُّ جونلَّاتها حول جسمها الوردي، عندما تتزيَّن لكل دور ستُؤدِّيه. ولمَّا كان يعيش مُحاطًا بالملابس، اعتبرها أكثر من منسوجات مُتَّسخة، وأولاها اهتمامًا أكثر مما تتطلَّبه وظيفته، لأن الملابس هي التي تُحدِّد مصيرنا. الملابس تُعطي المعنى للجسد الذي تُغطِّيه، هذا ما يُؤمن به، مُدركًا طوال الوقت ما تستره ملابسه الشخصية، فيقول عن نفسه: "أشيب، وغامض، ولا يمكن وصفه".

إنه يحب أن يتكهَّن بحياة الناس الآخرين بناءً على ما يرتدون من ملابس. صعدت فتاة سوداء الباص، وجلست، أخذت تنظر من النافذة. شعرها كعكة ملفوفة بقماش قرمزي. تلبس قُرطًا طويلًا مُطعَّمًا بالخرز، لم تضع أي مكياج. رقبتها عارية، إلا إذا احتسبت تُرقُوَتُها البارزة من

العظام أنها زينة. لثوبها القرمزي كُمَّان طويلان مُطرَّزان، وحافَّة أُرجوانية حول الرَّقبة. ألقت غطاء رأس الثوب إلى الخلف كاشفةً عن بشرتها وجزء صغير مـن ظهرهـا الأنيـق قـوي العـضلات. ترتـدي حـذاءً جلـديًّا أرضـيًا، وبنطالًا أبيضَ ضيِّقًا، مظهرًا كاحليها القويتين المعتادتين على العمـل. قـال لنفسه: "من المُؤكَّد أنها راقصة". عندما نزلت من الباص برشاقة، تأكَّـد أن تخمينه صحيح.

لا يوجد شيء مُثير عن حياته، ذلك الرجـل الـذي يقـضي أيامـه في محـل التنظيف، الذي يتَّسم بقليل من الـبُطء، ويحـب الموسـيقى، الـذي لا يـشبه وجوده الاستثنائي شيئًا أكثر من عثة ظهرت في الغسق بأجنحـة بنيـة صـغيرة مجروحة. هذا هو شعوره عن نفسه كل ليلة الساعة الثامنـة، عنـدما يغلـق المحل، ويتَّجه يمينًـا ويـسير لمـسافة ثـلاث عـمارات عـبر "توكومـان"، ويعـبر الشارع، ويمشي عـبر الميـدان، ثـم إلى طريـق جـانبي، ثـم يـصل إلى المـدخل الكبير لدار الأوبرا التي عمل بها أباه. ها هـو "تيـاترو كـولن". لقـد جـاء إلى هذه الدار مع والديه مرَّات عديدة عندما كان طفلًا، وعنـدما أصـبح صـبيًّا، حيــث الأضــواء الغــامرة، والكــابلات الــسميكة، يــشاهد دائمًــا مــن خلــف الكواليس، وليس في الأمام على مقعد خاص به. لم يتضايق مُطلقًا بـسبب مـا فاته، إنه فقط استعاد الذكريات التي يحملها. لم تكن النجفة المُضاءة بتـألُّق جزءًا من ذاكرته، ولا حتى منظر السِّتارة وهي تنفتح لتظهر خشبة المـسرح.

نعم، هذا ما يشغل باله خلال الدقيقتين اللتين يعبر فيهما الشارع، ويترك "تياترو كولن" خلفه، في طريقه إلى شقَّته.

2

ذات مساءٍ، دخلت امرأة المحل، ترتدي زيَّ خادمة، لها شعر قصير، ويد جميلة. وضعت على المنضدة صندوقًا بيضاويًّا كبيرًا، مُبطَّنًا بستان أسودَ. صندوقًا يمكنه أن يحدث سلسلة غريبة من الأحداث. فتحه بحرص، وفَرَد معطفًا رجاليًّا للسَّهرة مُعبَّأ برائحة النَّفتالين. طلبت منه إيصالًا للأشياء السِّتَّة التي في الصندوق، بما في ذلك قُبَّعة مُلطَّخة بطول الشريط، ورائحتها عفنة. تأمل الأمر بعناية، مُقَدِّرًا التكلفة واحتمالية أن تفشل جهوده. قال:

- سأرى ما يمكنني فعله، اتركيها هنا، وسأتَّصل بكِ.

هكذا كما علَّمه أبوه، وهزَّت المرأة كتفيها، كأنها لا تهتمُّ. هذه أغرب طلبية صادفته في عمله منذ سنين. لا يستطيع أن يتذكَّر شيئًا كهذا. لقد تذكَّر فساتين سهرة مُثقلة بالتطريز والدانتيل المُتأنِّق، عمل على قماش "الأورجانزا"، و"الشانتوج" الحرير، والشيفون، والكتَّان... ومن وقت لآخر على ملابس السَّهرة الباهتة، ولكن في حياته لم يصادف مثل هذا المعطف!

انتظر حتى أصبح وحـده ليتفحَّـصه. أمـسك أوَّلًا بـالمعطف الأسـود، ليتحقَّق من الأزرار المفقودة ويُفتِّش عن أي بُقعـة عفـن فطـري. تـنفَّس الصَّعداء عندما وجـد أنـه عـلى الـرغم مـن أن منـديل الجيـب الحريـري الأبـيض في حاجـة إلى التبييـض، فـإن أطـراف البـالطو، المُبطَّنـة بالـستان الأبيض، ذاتها، ليس بها بُقع. يتلاءم البنطـال مُـستوي الواجهـة تمامًـا مـع المعطف، مع شريط ستان غامق ينساب خارج كل رجـل بنطـال. وهنـاك صديري حريري مُتموِّج، كان رماديًّا باهتًـا ذات مـرَّة، ولكـن مُـصفرًّا الآن عند الطيَّات. قميص السَّهرة الأبيض، من قطن فاخر، وله أساور فرنـسية، وياقة مُرتفعـة. رأى أنـه بالنِّـشا المُركَّـز سـتعود واجهـة القمـيص والياقـة كأنهما جديدتان. أخيرًا، وليس آخـرًا، أخـرج مـن شـنطة بلاسـتيك صـغيرة رابطة العُنق، في حالة أفضل من الصديري. كل شيء رائع. بيـنما يـتفحَّص الطقم، أحسَّ بأنه يمرُّ بلحظة تنويرية.

في تلك الليلة، أخذ معـه الـصندوق إلى المنـزل، أراد أن يبـدأ فـورًا. سـار مسافة ثلاث عـمارات إلى "توكومـان"، وعـبر الـشارع، وسـار في الميـدان. إنـه يحب الميدان في هذه الـساعة أكثر مـن أي وقـت؛ فهـو يخلـو مـن الكـلاب الضالَّة، التي تُسبِّب الرُّعب كل صباح. لا نباح، ولا صوت بُـوق، لا يوجـد إلا ظلال الناس تذهب وتجـيء أبطـأ منهـا في النهـار، كـما لـو كانـت رسـومات ظلِّية من الورق المُقوَّى، جاهزة للدِّهان. تُنير الأضواء الأربعـة جوانـب لـدار الأوبرا، يتم عرض عمل فني؛ رأى المُلصقات. وصل إلى البوَّابة الرئيـسية، دار

حول المبنى إلى السرادق الذي على يمين المبنى، وقرأ الإعلان ببُطءٍ "كـار... من". صدفة نادرة. فكَّر في الغجر، والعاشق الغيـور، ومُـصارعة الثِّـيران في الأوبرا. ومع ذلك، لم يمكـث طـويلًا أمـام الـسرادق. لم يعلـم أن التنهيـدة التي خرجت من بين شـفتيه، تـدل عـلى شيء أكـثر مـن الاسـتسلام؛ كـان اشتياق قلبه المتردد، يومض بغير توقُّع، ثم سرعـان مـا ينطفـئ. إن حيـاة المغسلة أضيق وأكثر شحوبًا من أن تغذي هذا النوع من الشعور.

ولكن لاحقًا، وهو جالس على منضدة الخياطة الخاصـة بأُمِّـه، تحـت ضوء المصباح نفسه الذي وضعه أبوه منذ سنوات من أجلهـا. ومـع تـردُّد موضوع "كارمن" بشكل خاص في طبلة أُذنه، قطـع عهـدًا اسـتثنائيًّا عـلى العودة. ما كان له في هذه المـرَّة ليتخلَّـف في الظـلال. وأيـن كـان والـداه الآن، عليهما أن يفخرا به. لـن يـشعرا بـالحزن بعـد الآن بـسبب وحدتـه العارضة. اتَّخذ قرارًا، غالبًـا تحـدِّيًا لنفـسه، مـدفوعًا بـذاكرة آلاف المـرَّات التي أقعده فيها الخوف؛ ستكون هناك، سـوف ترفـضه، والخمـود الـذي حماه حتى هذه اللحظة، سيؤثِّر بالـسَّلب. مـن الأفـضل ألا تـدع المعانـاة تتملَّكك. لقد أوضح والـداه ذلـك، وهـو قـد أطـاعهما، دون الـتَّخلِّي عـن الأوهام التي جلبها السؤال "ماذا لو...؟".

بصدق، على الرغم من ذلك، لم يكن يُفكِّر في احـتمالات المـستقبل. مـا شغل تفكيره لحظة واحدة؛ لحظة لقائهما. سيراها مُجدَّدًا. سينتظرها حتـى

ينتهي العرض، مُمسكًا بوردة حمراء، ربما، لكن، هل يستطيع أن يتخيَّل هذا؟ ربما قبَّلتها بالحماس نفسه الذي فعلته في ذلك اليوم، دفعته إلى الخلف في صف مُكتظ بالأزياء، ومنحته شرف نيل القُبلة الأولى والأخيرة في حياته. يا إلهي! كيف غضبت أُمُّه منها عندما رأتهما معًا. كم من الكلمات البذيئة صبَّتها من فمها وهو يستمع من خزانة الملابس في الغرفة المجاورة عاجزًا عن إيقافها. نحيب، وتنهُّدات. صفع باب يُغلق. وكلمة "شفقة" كضربة لاذعة، تتبعه طوال الطريق إلى البيت حتى غرفته الكئيبة الصامتة.

3

مرَّ الوقت بسُرعة، وكذلك عمله في تجديد معطف السَّهرة وبقيَّة الطَّقم. استحوذت عليه المهمة، حتى إنه فقد اهتمامه باللعب مع دُمى المسرح، التي ظلَّت على رفِّها، وُضعت في الخلف بلا اكتراث. فيما يتعلَّق بإيقاع ألحان الأوبرا المُفَضَّلة لديه، فكانت أفكاره تحمل موجات من النتائج والكلمات المحتملة الحدوث. يكتبها في مُفكِّرته السَّوداء اللَّولبية، ثم يراجعها، كما علَّمه والده. لقد شطب كلمة "أهلًا"، ثم كلمات أخرى. وأخيرًا، استقرَّ على التزام الصمت... "دعها تكُن أوَّل مَن يتكلَّم". كان سيُعطيها لحظة كي تتعرَّف إليه، واقفًا هناك بمفرده، رزينًا وأنيقًا بلحيته التي لا تشوبها شائبة. بمفرده تمامًا، دون وجود أحد ليُساعده كشخص

بالغ. رؤيته لنفسه كشخص بالغ أعطتـه إحـساسًا مُثـيرًا بقـوَّة شخـصيَّته، التي تزداد في كل مرَّة يقيس فيها جـزءًا مـن البذلـة. فالـصديري المُمـوَّج يُناسبه تمامًا، وبالكاد لمست حافَّة البنطال حذاءه. بينما يرتدي المعطـف، باغته تحوُّل عجيب، لدرجة أن نغمة صوته تغيَّرت.

تبقَّى يوم واحد على ليلة الافتتاح، بل ساعات! وهو لم يصادف لحظة واحدة من النَّدم. لقد شجَّعه والداه دائمًا على إنفـاق المـال عـلى نفـسه. دون تردُّد، دفع مبلغًا كبيرًا من المال لأفضل مقعد مُتـاح للأوركـسترا، ثـم أنفق على زوج مـن الجـوارب وحـذاء سـهرة أسـود. كـان يـشعر بارتيـاح عندما يعمل بوصية والديه للمرة الأخيرة. أصبح لديه كل شيء. كـل شيء ما عدا الوردة الحمراء، التي عزم على شرائها من محل الزهور على ناصية شارع "توكومان"، في طريقه إلى دار الأوبرا. لقد دفع ثمنها مُقدَّمًا، بعد أن عبر الميدان هذا الصباح، للتأكيد فقط. أغلق المحل للغداء، أمـر لم يفعلـه قط، وسار إلى محل الحلاقة المُفضَّل لأبيـه، فقـصَّ شـعره، وهـذَّب لحيتـه بالطريقة التي تُفـضِّلها أُمُّـه. ثـم عـاد إلى المحـل، حيـث سـيكوي البذلـة بتمهُّل. لم يأكل، لأنه لم يكن جائعًا.

أُذيعت "كارمن" بصوتٍ عالٍ في السَّمَّاعات طوال فترة ما بعد الظهـر. ظلَّ يُغنِّي طوال فترة مروره بالمكواة على كل قطعة من بذلته الأنيقـة. في البدايـة كـوى القطـع البيـضاء، ثـم القطـع الدَّاكنـة. ورشَّـها بقليـل مـن

الكولونيا، مثلما اعتادت أُمُّه فعله، ثم وضع بحرص كل قطعة على الأخرى فوق المنضدة لتتعرَّض للهواء. أغلق عينيه، وراح يستمع إلى الصوت الهادئ للآلات، المُتناغم مع دقَّات قلبه، الذي ينبض في صدره، وفي حلقه، وحتى في رُكبتيه، بحماس لم يشعر به من قبل. لم يعُد عثة بعد الآن. سوف يذهب إلى الأوبرا بجناح فراشة. حتى عامل التنظيف يمكن أن يكون ملكًا لو أراد. لقد تفتَّح أمامه معنى كلمات أبيه، مثلما تتفتَّح الزهرة تحت أشعَّة الشمس. في الساعة الحادية عشرة، حينما تلمسها أشعَّة الشمس، تتكشَّف بنفسها. يمكنه أن يكون ملكًا، يكون أي شيء يتمنَّاه. من الصعب أن ينتظر حتى يرتدي ملابسه. لو كان الأمر بيده، لغيَّر ملابسه في الثالثة، بعد عودته من الحلَّاق مُباشرةً. إنه يتوق ليفعل ذلك الآن، ليتمشَّى في شوارع المدينة حتى وقت العرض. لكنه لا يُريد أن يعرق عندما يصل إلى دار الأوبرا. لا، إنها فكرة خاطئة.

هذا ما كان يُفكِّر فيه، عندما سمع صوت الجرس الصغير الذي علَّقته أُمُّه في الباب لكي يعرف أن أحدًا دخل المحل. نظر في الساعة ذات الأرقام الكبيرة التي علَّقها أبوه على الحائط. الساعة السادسة والرُّبع. مرَّ كل شيء بسُرعة. دقَّ عقرب الثَّواني مرَّةً واحدة فقط عندما أحسَّ بدافع أن يغلق الباب، ويدفع بأي شخص قادم إلى الشارع. لكن قدميه تسمَّرتا. فعند الباب، وقفت المرأة التي في زي الخادمة، ذات الشعر القصير، واليد الجميلة. وقالت وقد أمسكت بالمعطف الذي فوق المنضدة:

- هل أنجزت المهمة؟ مُستحيل، أنت فنَّان!

- ليس بعد.

حاول أن يكذب؛ لذا لم يقدر أن يُرجِع البذلة، وكانت هذه هي الكلمات التي استطاع أن يقولها. لكنها سارت إلى داخل المحل، بينما خفض صوت الموسيقى. وراحت تُوضِّح الأمر وكأنها تعتذر:

- فكَّرت أن آتي فقط كي أرى كيف تسير الأمور، فأنت لم تتَّصل، لذلك استغربنا... ولكن لا بأس! هل يمكنك أن تضعها في الصندوق من أجلي؟

لم يتَّصل بها، كيف نسي؟ لم تفعل أُمُّه ذلك إطلاقًا. ولهذا السبب أعطاه أبوه المُفكِّرة اللَّولبية. بينما كان يطوي آليًّا البنطال مُستوي الواجهة بشرائطه الحريرية السَّوداء، كانت المرأة تعد القطع الموجودة على المنضدة. ابتسمت وهي تقول:

- برابطة العُنق والقُبَّعة يصبح العدد ستَّة، أمر عظيم.

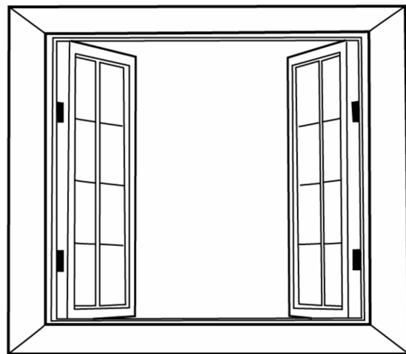
دون أي غمغمة أعطته المبلغ المُتَّفق عليه، وطلبت منه الاحتفاظ بالباقي.

دقَّ جرس الباب مرَّة أخرى، كاسرًا التعويذة، التى ربما كسرها بالفعل هاجسه السيئ. كانت الساعة السابعة عندما بدأ في ارتداء ملابسه. كان عليه أن يبدأ بالجورب، ثم بالبنطال... في تلك اللحظة، بدا المحل له كأنه مقبرة.

راح يذهب ويجيء بين الآلات الصامتة، وسلال الملابس. أحال الضوء الجدران إلى لون أصفر قاتم. غمره السكون. مرَّ طابور من السيارات ببُطءٍ في الجانب الآخر من الباب الزجاجي، كأنها في فيلم صامت. ظلَّت في عينيه صورة الأضواء الوامضة. تصدر من السماعات صيحات "كارمن"، وتتردَّد داخل المحل، ولكن دون أن تصم آذانه. ظلَّ يمشي في دوائر أصغر وأصغر، ووصل أخيرًا إلى طاولة في الخلف، وهو يشعر بدوخة وارتباك كطفل. وأخذ دُمى المسرح من على الرَّفِّ، ووضعها بحرص على الطَّاولة، حيث لا يُفكِّر في شيء آخر سوى اللَّعب، لوقت طويل جدًّا، قبل عودته في نهاية المطاف إلى حياته الغريبة، أو بالأحرى غريبة الأطوار.



حلم بعيد



حلمت بأنها نائمة بعُمق، تمامًا مثلما كانت وهي طفلة. يحملها بعيدًا صوت أُمِّها، والحكايات التي تحكيها لها، أو أنها تـضع رأسـها عـلى صـدر أبيها وهو يهزُّها ونفسه يخرج متقطعًا من التَّدخين. كان يجعلها في تلـك الأيام تغلق عينيها، وتنام قليلًا، على الرغم من انفعالها، وكـل شيء عليهـا أن تتعلَّمه وتتذكَّره؛ مثل كل هذه الأرقام والاتِّجاهات، ومثل ثقـل ذنبهـا بأنها تريد أن تطلق حُرِّيتها. ومع ذلك، لا يمكن القول بالضبط إنها لاقـت صعوبة في النوم ليلة اليوم الكبير. لقد قضت وقتًا طويلًا شبه نائمة، تنظر من النافذة، إن أضواء المدينة البعيدة المُرتعشة قتلتها ببُطءٍ. فـتح أبوهـا باب غرفة نومها برفق، فتسلَّل شعاع نور على شكل مُثلَّث أصـفر، فأضـاء الأرضية، وسألها:

- هل أنتِ نائمة؟

لم ترد، على الرغم من أنها سمعته جيِّدًا. فهي لا تريـد أن تـضطر لأن تكذب؛ لتناقش مرَّةً أخـرى خـط الـسير، والـشوارع، والباصـات، وعنـوان الأستاذ الأسكُتلندي المسؤول عن مُقابلـة الطـلاب الـذين قـادهم حظَّهـم الكبير إلى مبنى الـسكن، فتأكَّـد مُـستقبلهم واعتمـد. عنـدما حـان وقـت انصرافها، أصبح من الصعب أكثر وأكثر أن تتبع الساعات. نظر إليها، مليئًا بالفخر؛ لأنه يُجنِّبها هذه المرَّة عبء توقُّعاته، كما لو أنـه يجنـي بالفعـل ثمار مهمة بلغت الاكتمال. كان حسَّاسًا وعلى وشك البُكاء، ولهذا الـسبب أغلقت عينيها، مُتظاهرةً بالنوم، وظهرها إلى النافذة الكبيرة.

كانت نافذتها واحدة في جدار لا نهـائي مـن النوافـذ، مُكوَّمـة بعـضها فوق بعض كاللوحات المبروزة التي تعكس طبيعة ما يحدث بـداخلها. في الأمام، وعـلى الجـانبين، عـلى مـسافة عاديـة، انتـصبت جـدران مُتـشابهة شجَّعت عـلى التلـصُّص؛ فكـل واحـد هنـاك يرغـب في أن يكـون مُراقَبًـا. تُنظِّف النوافذ بدقَّة، في انتظار فواحش الليـل؛ ففـي النهـار تظـلُّ خاليـة من الـسكان، وفارغـة. توهَّجـت بأضـواء كهرمانيـة صـناعية غمـرت كـل الأمـاكن الداخليـة بلمعـان مُـزعج تـسبب في أن تبـدو الأشـياء الـصغيرة أكبر من حجمها بكثير. الأحداث العادية صارت قصصًا لا يمكن تـصديقها، بعضها أكثر فنية (واقعيـة) عـن الأخـرى، وفقًـا لموهبـة وهويـة مُؤَدِّيهـا. على سبيل المثال، تصبح الوجبة المـسائية وليمـة شـهية، تُمجِّـد العمليـات البيولوجية البسيطة، مثل البلع. يتم عرض تصوُّرات الحياة في كل نافـذة. أمـا هــي فقـد علَّموهـا أن تقلـق مـن أي نـوع مـن الكـشف، لدرجـة

أنها لم تتخيَّل نفسها عُرضة للنظر إليها. يمكنها بالكاد أن تنظر إلى نفسها في المرآة. على الرغم من أنها أحيانًا تفعل ذلك سرًّا.

لا يُعرض في النوافذ شيء قبيح، لا شيء بذيء، ولا شيء بائس، وهذا ما جذبها بالتأكيد؛ اللاعقلانية والتفاهة. لم يكن هؤلاء القاطنون في هذه النوافذ وقحين مُطلقًا، ولا غير مُهذَّبين، ولا حتى عندما تُركِّز الرُّسومات المُفعمة بالحيوية على مأساة، مثلًا الموت، لأن هذه الوقائع السَّوداء كانت أيضًا تمثيلًا فنيًّا للعالم، تقليدًا تم إنجازه ببراعة فائقة، تم تصميمه ليبعث على الاستمتاع. ألم يُقَدَّر المجد للأحداث البطولية، مهما صغرت؟ فالأشياء مهمة حتى في اقتصادها. قليل، ولكن جميل. قليل، ولكن مهم. قليل، ولكن ليس مُفرطًا في الجمال؛ مقعد إسباني، كتابان مُجلَّدان كأنهما تعويذة، متروكان على الطَّاولة، مصباح منضدة أخضر، أو قطعة من الأدوات المُصمَّمة بهندسة بيئية، هذا النوع الذي يصنع قهوة "سومطرة" مضبوطة زكيَّة الرَّائحة دون خدش حبَّة بُن واحدة.

آمنت بأن كل شيء تمَّت إضاءته بتمهُّل لإثارة الإعجاب، أو الحب الأعمى، على الرغم من أن المجاملات كانت سهلة، والقبلات غير ذي جدوى، والعواطف غير صادقة. كما أن دفء الحضور هناك يبدو - كما هو معروف – مائلًا إلى التبلد، وفقدان الحس، ثم يبعث على المَلَل... ولكن هذا غير منطقي، أليس كذلك؟ يمكن قضاء وقت كبير في تأليف هذه

التابلوهات المسائية الصغيرة، عندما يتمشّى بعض الناس، فقط للحظات قليلة في الليل، بعد ساعات من العمل، عمل بلا نهاية حتى يمكن خلق شيء جدير بالذِّكر بعد حلول الظلام. انسَ الحاضر، انسَ الآن. الناس لديها هاجس وخوف من المُستقبل. لقد أزعجهم، ككابوس يتجلّى. فكرة أنهم، أو أن خُلفاءهم، قد ينحدرون إلى السُّوقية، أو ما هو أسوأ منها، إلى الفقر. فالفقر هو جوهر الرُّعب. لم تكن النوافذ شكلًا من أشكال التباهي غير المُجدي فحسب، بل صلة بالعالم الذي يحنون إليه، وحائط صدٍّ من العالم الذي يخافون منه.

كانت نافذتها (في الحقيقة، كل نوافذ بيتها) استثناءً على هذا الجدار. نافذة واسعة بستائر رقيقة، ولكن ليست شفّافة. عاشت هناك مع أسرتها في بيئة مُحتفظة بأصالتها، غير مُلوّثة، وتصل لدرجة القداسة تقريبًا. لديهم أثاث بسيط، وكتب عديدة، وكثير من الأرفُف التي لم تعد مُلائمة، وبيانو قديم. لم تذهب هي، ولا أخوها الأصغر، إلى المدرسة قط؛ رتّب أبواها ذلك. فالمُعلِّمان بالأجر، علّما أبناءهما في البيت من أجل الحماية من فُحش هذا العالم، الذي رفضاه بسبب انكشافه، واستهتاره بما يعتقدون أنه حقيقة. لقد أعطيا قيمة للشجاعة والصِّدق والذّكاء. كانا مُستنيرين، وأصرّا على غرس المعرفة في أطفالهما لكي تُفتح لهما جميع الأبواب. ناقشا الأساليب والمضمون، وتطوّر الأدب واللغة، والعلوم، والفن، وأيضًا الاهتمام بالجسد والرُّوح. علّمهما أبوهما الماضي، بمُحاولاته إجراء حوار مع

التاريخ، لقد أخلصا للكلاسيكيات واللغـات القديمـة، بإعطـائهما الأولويـة للاتينية، بالإضافة إلى اللغات الأخرى التي لا غنى عنهـا. وراحـت أُمُّهـما، من ناحية أخرى، تحتفـي بالحـاضر، وتُعـدُّهما للمُـستقبل، بـالتركيز عـلى العلوم في شتَّى مجالاته التطبيقيـة. وسـاعدتهما الأفـلام والموسـيقى عـلى تشكيل روح قدوتهم. فالفتـاة تعـزف البيـانو ببراعـة فطريـة رهيبـة، أمـا أخوها فيعزف القيثارة. في مرحلة مـا، علـيهما أن يـتعلَّما كيـف يحميـان نفـسيهما مـن سُـخرية الأطفـال الآخـرين، الـذين يتـسكَّعون في العـالم الخارجي، حتـى يـشعرا بـأنهما قـادران عـلى تقـديم نفـسيهما للآخـرين، مثلهم مثل النَّباتيين الذين يرفضون أكل اللحوم دون حرج. لقـد اكتـسبا، كآلية للدفاع، حسَّ دُعابة داهية يستخدمانه لتجنُّب ناقديهما.

لم يُرِهِما أبواهما جمال العالم فحسب، بل علَّماهما أيـضًا أن مـا يـراه كل منهما كواقع سيئ فهو من أوجه القصور فيه. إن هذا العـالم الزَّائـف الذي لا ينتمون إليه، حتى لو أنهم آمنوا بخلاف ذلك، والذي اختاروا بدلًا منه رهبانية عزلت الأسرة ردحًا من الـزَّمن، وحوَّلـت الأطفـال إلى عيِّنـات معملية يحاول الوالدان أن يُصلحاها، ويُجمِّلاهـا، ويُـصقلاها بأزميـل مـن مُعتقداتهما.

في بعض الأحيان، ولفـضول الأطفـال (وخاصَّـةً هـي)، يفـتح الوالـدان الستائر بغرض التَّعليم والمُقارنة. على مرِّ السنين، صارت تـسحب الـستائر في الخفاء، وتنظر من النافذة. وتتساءل عن واقـع كـلا العـالمين، والعـوالم

الأخرى التي لا تعرف عنها شيئًا. بدأت تشعر على نحو مُتزايد بأنها رسالة مُشفَّرة لا يهتمُّ أحد بقراءتها. غالبًا ما تبحث عن المُتعة، لقد استحوذت عليها رغبة خالصة في الاستمتاع، ولكنها سرعان ما ترتدُّ إلى صرامة أُسرتها. تُفكِّر مليًّا مرَّةً تلو المرَّة في إذا كانت موهبتها عبئًا، وتسأل نفسها: هل يُؤدِّي الذكاء والمعرفة إلى الغرور والتفاخُر، وتساءلت إذا كانت الشجاعة والصدق شكلين قاسيين لتصنيف كل شيء، لكي يتظاهر كل فرد بأنه أفضل من الآخر؟ لم تعرف أي السُّبُل تتَّبع في خارطة أسرتها. ولكنها تاقت إلى مخرج طوارئ، أرادت أن تهرب، وتتنفَّس؛ أن تُجلب إلى الحياة، وتقطع كل الخيوط المنسوجة بعناية على مرِّ السنين. أن تفرَّ من الجامعة القديمة المُوقَّرة، التي تأسَّست في القرن الخامس عشر في دير رُهبان في الكاتدرائية. لتتخلَّى عن الانضباط الخنوع للرياضيات والموسيقى؛ وتُمزِّق الكورسيه. "أعطني ما هو فائض، لأن أي فرد يستطيع أن يحصل على ما هو ضروري"، إنها تُرَدِّد صرخة الحرب السرية هذه منذ أن بلغت أشُدُّها. في تلك الأيام، فقدت الكلمات معانيها تمامًا، كما لو أنها في ذاكرتها، قد تبعثرت قطع لغز غير محدودة.

أحسَّت بالغضب، ولكن بالشَّفقة أيضًا تجاه والديها. فكَّرت في كل شيء تعلَّمته، وفي عدم جدوى المعرفة. هل يستطيع مخلوق أن يخدع خالقه دون عقاب؟ هل يستطيع أي عمل فني أن يطمح في أن يكون شيئًا غير الذي صمَّمه الفنَّان؟ لقد تأمَّلت هذه الأسئلة في الليلة السَّابقة لرحيلها

بمفردها في غرفتها المُطلَّة على النوافذ التي تُشبه الرُّسومات. نهـضت مـن على سريرها، ومشت إلى النافذة، ونظـرت إلى الـشارع في الأسـفل. هنـاك امرأة تتكوَّر على الرصـيف، قـدماها حافيتـان فـوق الرصـيف. وبجانبهـا، يرقد شكل بشري صلب بتحفُّظ. تخيَّلت أن المرأة تبكي من البرد، لأن هذا هو الذي يبكي منه الناس الذين لا يذهبون إلى أي مكان.. إنهم لا يحمون أنفسهم من الرياح فحسب، بل أيضًا من النـور، الـذي يكـشف كـل شيء بغشائه الـصَّدئ؛ أكـوام القمامـة، والحـواري المُغلقـة، والكـلاب، ونـواصي الـشوارع، والنوافـذ. إن الطريـق الـذي يمتـدُّ إلى المجهـول، مـصنوع مـن الخوف؛ فمجد العالم يكمن في الجانـب الآخـر للتَّعاسـة. الآن فقـط، بـدأ ضوء القمر في الانحسار. وأحسَّت الفتـاة أيـضًا بـالبرد، وكـأن شـيئًا غريبًـا سيحدث، لكنها لم تتوقَّف عن النظر إلى الخارج. نائمة بعُمق، أو ربما غـير نائمة بالمرَّة، نظرت ببساطة من النافذة.



"مويبا"



"التَّأكُّد من أن أي شيء قد كتب فهو يمحينا، أو يجعلنا سرابًا".

- **"خورخي لويس بورخيس"**

كانت الليلة طويلةً، والسجن صامتًا برائحة الانتقام. أو على الأقل هذا ما اختاره السَّجَّان ليعتقد فيه، وإلا فلا شيء له معنى. تركه المنظر مشدوهًا؛ فرجُلكِ نصف عارٍ، ببنطال يصل حتى رُكبتيه، وفمه فاغر، ويسيل لُعابه. ربما ضائع، وربما في رحلة سيئة، منهار على الحصيرة تغطيه القذارة. الرضيعة ترقد بجواره، ساقاها مُتباعدتان، مُلتوية، وعرجاء، كدُمية مكسورة. ميِّتة.

نعم يا "ماجدالينا". هذه المرَّة، استيقظ الرجل الذي دعوه "رجُلكِ" في الجحيم، يركله حُرَّاس السجن عندما حاول أن يعالج سبب الصياح الذي حوله. أجبرته إبر حادَّة صغيرة من الضوء على الرجوع إلى الواقع، كما اعتادت عيناه ببُطءٍ. كان يُناضل من أجل الجلوس عندما رآهم يأخذون

جسد ابنتك المُغطَّى بالبطَّانية بعيدًا. لم يزل على رُكبتيه، حـاول أن يـصل إليها، ولكنه وقع على وجهه على الأرض مغشيًّا عليه. عنـدما فـتَّح عينيـه مرَّةً أخرى، أخبرك فيما بعد، وجد نفسه في غرفة خضراء مُعتمة؛ واستطاع أن يعرف بالشَّم أن هناك رجلًا يُـدخِّن بـالقُرب منـه. كـان أنفـه وجبينـه مُتورِّمين، كقطعة الفلِّين الجافَّة، وما زالا يخفقان. قال وهو يشهق:

- لم أفعلها، أقسم بذلك.

وظلَّت هذه الكلمات دفاعه الوحيد.

لا. دعينـا لا نـدعوكِ بـساذجة يـا "ماجـدالينا"؛ لأن في الـسذاجة بـراءة وحيرة. وأنتِ لم تكوني بريئـة قـط. لـو أن هـذا يجعلـكِ تـشعرين بتحـسُّن، يمكنكِ أن تقولي ذلك، في نظركِ، لم يعد "مويبـا" تجـسيدًا للرُعـب، والفـساد، والنَّتانة. في نظركِ، لم يعد "مويبا" سجنًا، ولكن ببساطة مبنـى قـديم، وقـصر كالمتاهة به أبراج كثيرة! وغرف كثيرة! مثل مبنى من الطوب اللَّبن. لقد أتـاح لـكِ هـذا المكـان أن تعيـشي في أكـبر عـالم مـوازي وهمـي، بـلا حـاضر، ولا مُستقبل. بـين كـل اللغـات المختلفـة، وشـتَّى الأنـواع مـن الـسُّجَناء؛ رجـال، ونساء، وأطفال يختلطون جنسيًّا بطُـرُق غـير شرعيـة في وكـر الثعـابين هـذا. لقد أقنعتِ نفسكِ بأن لا شيء مـن هـذا كـان حقيقيًّـا، ولا شيء كـان جـادًّا، وأن ما يهم في الأمر هو أن لديك أسبابًا وجيهة، أسبابًا مهمة؛ ابنتكِ الصغيرة

بالطبع، وأيضًا "رافاييل"... حسنًا استمرِّي في إخبار نفسكِ بما تريـدين أيًّـا كان. استمرِّي في الدوران في دائرة مفرغة.

الأشباح تحيطكِ. والزمن عادةً ما يُهدِّئ الذاكرة المُظلمة، ولكـن لـيس ذاكرتكِ؛ فأنتِ لا تزالين غير مُستعدَّة للنسيان. كـان ينبغـي أن تتركيـه يـا "ماجدالينا". وماذا سيبقى بعد؟ على الأقل، أنـتِ تعـرفين أن "رافاييـل" لم يكذب عليكِ إطلاقًا، ولم يكن يحمل في داخله أي خـداع لـكِ، كـان دائمًـا يُريـكِ الحقـائق. في هـذا العـالم، قلَّـة مـن الرجـال يتَّـسمون بالوقاحـة، والصَّفاقة. حتى عندما أمسكوا به يعمل كالحمار، رغم أنه كان خائفًـا في داخله، كان جريئًا. أدانوه، وقضى ثلاث سنوات في سـجن "مويبـا" عنـدما حدث ما حدث... ولكن، بالنسبة لـه، لم يكـن "مويبـا" يعنـي إدانـة، بـل يعني قدرًا. كان أشقرَ ومُهذَّبًا، لـذا أحبَّـه الجميـع، وكـان "ألباتـا" مُفعـمًا بالحيويـة. لـدى "رافاييـل" كاريزمـا، وقـدرة فطريـة غـير محـدودة عـلى الإغواء، بفضلها حالًا أصبح السجن مُحتملًا، بل أصبح سـهلًا تقريبًـا. منـذ وصوله إلى السجن، لاحظه النُّزلاء؛ فقد برز بين الجميع، بخـصلات شـعره الذَّهبية التي تصل إلى كتفيه، وصدره الصُّلب، وغمزات عينيـه المُرتعـشة على الدَّوام. لم تكُن تلميحاته سُوقيَّة، ولكنها لم تكـن أيـضًا مُخنَّثـة. نعـم، برز بينهم، فليس هنـاك مَـن لم ينجـذب إليـه، وهـذا جعـل منـه وسـيلة مثالية للنقل والحمل، للذهاب والمجيء، للتسليم والاستلام.

على الجانب الآخر، كـان "ألباتـا" رجـلًا ضـئيلًا، عـلى فكِّـه أثـر طعنـة خنجـر منـذ كـان في الثالثـة عـشرة. وقـد أدرك أن المُخـدِّرات هـي وزارة الاستمتاع. له طريقته؛ أوَّلًا، الإغراء. لاحقًا، الاستعباد. لقد شاهدته. اختـار وليمته التي يستمتع بها لمدة يوم أو يـومين. يـضفي عـلى أتباعـه بـبعض المزايا؛ الولائم، والرقص الغجري... عرف حُـرَّاس الـسجن كيـف يبتعـدون عن رجال "ألباتا". ولكن فوق كـل ذلـك، كـان يُعطـيهم نوعًـا مـن الثقـة الهـشَّة، واحـترام الـنفس، والحمايـة كالأبنـاء، ويُعـزِّز كـل ذلـك طقـوس استقبال همجية مُتزايدة. وبهذه الطريقـة، كـانوا يتحوَّلـون إلى الخنـوع؛ تُقطع الأُذن، وتُغتصب الأجساد بوحشية، ثم يتحوَّلون إلى النسيان. يأخـذ كـل شيء، ولكـن يظـل يـصدر الأوامـر ويُعـاقبهم، حتـى يلتحقـوا أخـيرًا بالحلقة الصغيرة الداخلية.

لكن "رافاييل" كان حالة خاصَّة. فقد انجذب له "ألباتا"، مثلكِ تمامًـا. عليكِ أن تعترفي بأنكما، من هذه الزاوية، لم تكونا مختلفين. لقد تخيَّلـت بداية كل شيء؛ "رافاييل" في البنطلون الجينز الضيق الـذي يرتديـه دائمًـا ليبرز أعضاءه. كانت عيناه التي تـشبه أعـيُن الزواحـف تجـرد "رافاييـل" تمامًا مـن ملابـسه، وتـستقرُّ عـلى مُؤخِّرتـه المُـستديرة المُلتـصقة بملابـس خفيفة. بينما الرجل يتخيَّـل بـشكل محمـوم أنـه يُـضاجعه... والآخـرون أخبروكِ بالباقي؛ اقترب منه "ألباتا" بوضوح، وعرض عليه حمايته ليأخذه تحـت جناحـه. حـدث ذلـك بالليـل، امتطـاه "ألباتـا" كأنـه يتـسلَّق

شجرة، ولكنه صاح أيضًا كأنه مُخترق مـن قبـل "رافاييـل"، الـذي تُهـيمن عليه قُوَّته، ومأخوذًا بجماله. رجلكِ عـلى وعـي بقـدرة جاذبيتـه. يتجـوَّل وكأنه امتلك المكان. معظم الوقت ينام مع "ألباتا"، ولكنه أحيانًا يُـضاجع زوجة حارس ما أو أحد المساجين. سمح "ألباتا" بذلك... لماذا صعب عليكِ أن تفهمي طبيعته؟

حتى الآن، مرَّ زمن المأساة وعدم التصديق. لقـد رتَّـب الـزمن الألم ترتيبًـا هرميًّا. هل تعتقدين هذا كما تنظفين أسنانكِ البيضاء اللؤلؤية بالفُرشاة، مـن أعلى إلى أسفل، ثم من أسفل إلى أعلى، مرَّةً ومـرَّتين وثـلاث مـرَّات في جانـب، ثم في الجانب الآخر، في البداية السطح الخـارجي، ثـم الأجـزاء التـي لا تـصل إليها الفُرشاة إلا بصعوبة؟ كم مرَّة تُعامل غـروركِ مـع هـذا، يـا "ماجـدالينا"؟ هل تُفكِّرين في ذلك؟ لقد وصـلتِ في يـوم مُلبَّـد بـالغيوم. أردتِ أن تُحـضِري المـسؤولين. بالنـسبة لـكِ، كانـت الـصحافة نوعًـا مـن الاسـتبداد الأخلاقـي، الذي مارستِه باتِّبـاع حواسَّـكِ لقـصص الـصفحات الأولى. فجـوع الاهـتمام لا يشبع. كنت على استعداد أن تستخدمي كـل قوتـكِ ونفـوذكِ للحـصول عـلى السبق الصحفي. إنكِ عرفتِ نفسكِ جيِّدًا. هناك شيء ما مُنفِّـر وجـذَّاب معًـا حولكِ. أحيانًا مُسيء ومُثير للقلق إلى حدٍّ ما. له علاقة بذكائكِ، الطريقة التـي تنبـشين بهـا عـن المعلومـات، الطريقـة التـي تـسألين بهـا جميـع الأسـئلة الـصحيحة. مـا الـذي كنـتِ تطمحـين إليـه؟ مزيـد مـن المجـد؟ لا تكـذبي يـا "ماجداليـنا". لم تكوني تبحثين عـن الجـوائز، فلـديكِ منهـا الكثـير. أردتِ شـيئًا

أكبر من الإعجاب. قلبكِ البور اشتاق إلى العاطفة؛ أردتِ فقط أن تكوني محبوبة. ولكن مَن يمكنه أن يحبكِ يا "ماجدالينا". أحيانًا لا تستطيعين أن تحملي نفسكِ على حب نفسك. لقد تناولت الشائعات أنكِ لا تحبين النساء الأُخريات، ولكن هذا غير صحيح، فأنتِ ببساطة تحتقرين الجمال. لقد تعلَّمتِ آلية الدفاع في الطفولة؛ تُغطِّين بالاحتقار كل شيء لا تُجيدينه. ولم تكوني مثالية، يا "ماجدالينا". كنتِ ببساطة قبيحة، وبشعة، وحتى مُقزِّزة، وأدَّى ذلك إلى عُزلتكِ. قضيتِ ساعات تقضين على بدنكِ، وتقسين قلبكِ. إن وجهكِ العام، الحازم ورابط الجأش، يؤكد غطرستكِ.

لقد انفتحت لكِ أبواب "موبيا". هكذا هي القُدرة المُطلقة للخوف. كنتِ مُثابرة، ونجحتِ تقريبًا في الحصول على كل ما تُريدين. تقريبًا. اعتقدتِ أنكِ قادرة على تغيير مجرى الأحداث، كما فعلتِ ذلك من قبل. ولكن ليس هذه المرَّة. وعلى الرغم من ذلك، سأُعطيكِ حقَّك، في مقدور أي شخص أن يُوجِّه اتِّهامًا، ولكنكِ الوحيدة التي يمكنكِ أن تكتبي القصَّة. لم تكن الطوابير الطويلة في أيام الزيارات من الأقارب فحسب، بل أيضًا من السائحين الذين جاؤوا من كل أنحاء العالم لزيارة أشهر سجن للكوكايين. هذا هو السبق الصحفي!

لقد كذبتِ بشأن سبب زيارتكِ. دعينا نَقُلْها من دون تكلُّف؛ لقد كنتِ غشَّاشة. ولكن متى نالت الإجراءات اهتمامكِ؟ بعد ظهر أحد الأيام، قرَّرتِ

أن تُقـابلي "ألباتـا"، وتكتبـي قـصَّة تفجـر أسـطورته. لقـد أعلنتِهـا بنـزق لموظفي صالة التحرير: "لو نزعت الإنجازات الرَّمزيَّة من الأبطال فـسوف تصل إلى اللَّحم". كانت خُطَّتكِ أن تسيري حتى تُقابليه، ولكـن اسـتوقفكِ "رافاييل". وقع قدميكِ في الممر أوقظه من قيلولته، لكنه تظـاهر بـالنوم، مُتمدِّدًا على أُرجوحته الشبكية، سادًّا أمامكِ الطَّريق. أُراهن أنكِ حـدَّقتِ فيه وتتبَّعتِ بطنه الـصُّلب بعينيـكِ، وتخيَّلـتِ أن تفُـكِّي سوسـتة بنطالـه الذي كان نصف مفتـوح بالفعـل. إنما الحقيقـة أنـه عنـدما فـتَّح عينيـه ليُفاجئكِ، نظرتِ لأسفل، وقلت:

- جئتُ كي أتكلَّم معه.

بلا شك يعرف إلى مَن تُشيرين، فأجاب بابتسامة:

- لماذا لا تتكلَّمين معي؟ أستطيع أن أخبركِ بكل ما تُريدين.

- لستُ مُهتمَّة.

هكذا أجبتِ، بينما قلبكِ قفز من مكانه، وعقلكِ أصـابه الـدُّوار. فلـم تُقابلي من قبل رجلًا بهذه النوعية الذي - كي تزيـد الطـين بلَّـة - أعطـاكِ اهتمامًا. تعرف النساء القبيحات أن الرجال لا ينظـرون إلـيهن، ولا سـيما الرجال مثل "رافاييل"؛ لأن العالم مهووس بالنسب المثالية؛ الجـمال فـوق العقل، والتألُّق فوق الجوهر. لقد درست هذه الحقائق من باب المعرفة.

من بدايـة العـصور، مـن أرسـطو، حتـى نيتـشه، الجـمال مملكـة التأمُّـل والخير، بينما القُبح مكان النفور والعُنـف، وأسـوأ مـن الـلا مكـان بكثـير. تمنَّيتُ بكل بساطة أن يكون القُبح مضادَّ الجمال؛ تطـابق متماثـل. لكـن الأمر كان أسـوأ مـن ذلـك؛ أظهـر معظـم النـاس - وبالتـالي معظـم ردود الفعـل الـشاذَّة - الاشـمئزاز، والكراهيـة، والرُّعـب. ولهـذا الـسبب رأيـتِ "فرانكشتاين" مثالًا أخلاقيًّا للإنـسان؛ الـوحش الـذي يفـرُّ إلى موتـه. هـزَّ الجمال الناس، وجعلهـم أغبيـاء، لكنـكِ لم تُجـرِّبي تـأثيره، ولا جنونـه، ولا عجزه. لو أن الحب من النظرة الأولى موجود، فلا بد أنه مُخدِّر مثـل ذاك الشيء؛ السُّم. لم ترغبي في رؤيته مرَّة أخرى؛ لأنكِ شعرتِ بأنه في عروقـكِ كالإدمان، وعرفتِ أنكِ لن تستطيعي تحرير نفـسك. لـذا، بـالطبع، كنـت تعودين كل يوم. وعلى الرغم من ذلك تظاهرتِ بأنكِ لا تعرفينـه بـسبب كينونته حينئذٍ، على الرغم أنـكِ سـخرتِ منـه. كنـتِ قاسـية. لقـد أحـب "رافاييل" فُكاهتكِ السوداء، والظروف الغريبة التي جعلتكِ في مأمن مـن فتنته. انتظـر مُتلهِّفًـا لوصـولكِ؛ لاحقـكِ إلى الـسجن، وحـاصر حياتـكِ في الخارج، وأرسل لكِ هدايا صنعها بيده، واتَّصل بكِ على التليفون.

استمررتِ في المجيء يا "ماجدالينا"، ليس مـن أجـل الـصحيفة، وإنمـا من أجله. في البداية، لفنجان قهوة لمدة ساعة. ثم لفـترة مـا بعـد الظهـر. وبعد ذلك لليلة بأكملهـا. لم يكـن الأمـر بـشأن "رافاييـل"، بـل بـشأن مـا شعرتِه هناك. في السجن تعلَّمتِ معنى آخر للجمال، معنـى قـرأتِ عنـه،

ولكن سخرتِ منه باستمرار. شيء غير مادي وبـريء، شيء كـان عليـكِ أن ترجعي له لأنه جلب لكِ الفرح والـسلام. لقـد تخيَّلـتِ أن الـسجن يمثـل العالم تمثيلًا فنيًّا، بمعنى القُبح الذي قلَّدتِه بمهارة، والـذي اكتـسب صـدى جميلًا. كان وقتكِ هناك جميلًا فقط بهذا المعنـى؛ لأنـكِ أحسـستِ بأنـكِ تحرَّرتِ، وأنكِ مُرحَّب بكِ، وليس بمعنى الإعجاب الظـاهر، لـيس كـما لـو أنكِ لؤلؤة بين الخنازير، ولكن لأنكِ جزء من كل. ضـحكتِ عـلى نفـسكِ، لأنكِ يمكنكِ أن تشعري بالزَّعزعة في روحـكِ بـسبب النـشوة والحـساسية المؤلمة. رآكِ "ألباتا" من بُعد، وفهم كيف أنكِ تتناسبين مع هذه الفـوضى. هدَّد "رافاييل"، وحذَّره من الخطر، ولكن بلا جدوى. وبعد ذلك واجهـكِ، دون أي جُهــد. رفــضتِ أن تــسمعي، وانتهيــتِ أخــيرًا في الــسجن مــع "رافاييل". انتقلتِ إلى السجن يا "ماجدالينا"، ودفعتِ لـكي تقـضي الليلـة ويُطلق سراحكِ في الصباح.

لم تهتمي عندما تم رفدكِ من الـصحيفة. عزمـتِ عـلى كتابـة كتـاب، أقسمتِ على ذلك، عمل فني حقيقي، ستلمسين بـه الـشمس في ذروتهـا. لقد تلاعبتِ بالأحداث بسهولة كما لو أنكِ تغشِّين في لعب الورق، أعطاكِ هذا شعورًا بالسُلطة، حيث إنكِ كنت تثبتين نظريتـكِ بأنـه حتـى القـدر يخضع للاستئناف. كان "رافاييل" يقضي آخر أيام عقوبته، وعلى الرغم من أنكما لم تُخطِّطا لذلك، حدث أنه جعلكِ حاملًا. رفضتِ أن تكوني نموذجًـا للأمومة في سن صغيرة، ولكنكِ الآن تقبلتِ الأمر بسهولة، كأحد تحوُّلاتـكِ

الوجوديـة. ولـدت البنـت وطلـب "ألباتـا"، مقابـل تـرك الأب والرضـيع بمفردهما، أن تستمر زيارة "رافاييل" له. قضيا الليالي معًا على الرغم مـن رغبة "رافاييل" في أن يكون معكِ. كـان يعـود كـل صباح كمنفـي؛ كنـتِ تحتفين بعودته إلى البيت كنوع من الانتقام، أو نـصر شخـصي لـكِ. شـعر "ألباتا" بأنه خُدع، ولكن لماذا لم يسعَ إلى الانتقام؟ بقتـل ابنتـكِ، سـيعتقد أنه يمكنه أن يأخذ ما يُريد.

أوضح "رافاييل" هذه الحقائق بشكل مستمر، حتى إن السَّجَّان تـدخَّل وأرسل عيِّنة DNA للخارج لتحليلها، ولكنهمم استمعوا إليـه أيـضًا بـسبب نفوذكِ يا "ماجدالينا". تحطَّمتِ بسبب مـوت ابنتـكِ، فـصرختِ مـن أجـل العدالة يا "ماجدالينا"، وأنتِ ترين بناءكِ ينهار مـن حولـكِ. كـل مـا كنـتِ تريدينه هو أن تعودي إلى السجن؛ لأنكِ كنتِ سعيدة هناك، لدرجـة عـدم الإدراك. أردتِ أن تعـودي إلى الملجـأ، حيـث كـان كـل شيء ميِّتًـا حتـى إن أشواككِ لم تظهر. مـا الـذي جعلـكِ تعتقـدين أنـه مـن المـستحيل تحقيـق السعادة؟ لماذا تجرَّأتِ وتخيَّلتِ الحياة معه في الخارج؟ لماذا خُنتِ إيمانـكِ، واستسلمتِ لهذيان الكمال؟ الآن أنتِ مهزومة بيقين أنكِ فقدتِ كـل شيء. لم تتبقَ لـكِ قـوَّة يـا "ماجـدالينا". إنـكِ مُحـاصرة بالحقـائق غـير الدقيقـة، وقسوة حُكمكِ والغضب الأعمى الذي في قلبكِ. لقد أُصـيب رجُلـكِ بمـرض الإغماء التخشبي، وهو بعيد جدًّا عنكِ. مُجرَّد أنه يرقد هناك. هل يلومـكِ؟ هل توقَّف عن حُبِّكِ؟ هل يُوبِّخكِ لـشكوككِ؟ للمـرَّة الأولى يـا "ماجـدالينا"

يصبح تأثير ما قاله الآخرون أقوى. لقد استيقظتِ. لقد نفد حبر الصحافة غضبًا وهي تنتظر نتائج تحليل الـDNA، النتائج المشؤومة التـي وصـلت صباح يوم الجمعة عندما وجدوا "رافاييل" ميِّتًا في زنزانتـه. لقـد صـدقتِ نفسكِ بأن يدكِ نظيفة. أخفيتِ ما فعلتِ، جعلتِ نتائج المعمل تختفـي؛ لأن رسالتكِ في الحياة دائمًا نرجسية. ثم عُدتِ كي تكتبي كتابـكِ. ارتفعـي عاليًا كارتفاع الشمس واحترقي.



الذَّوَّاقة



هناك مكان كانت ستودُّ أن تذهب إليـه؛ هـو غرفـة نـوم في بيـت جَدِّها، غرفة زيَّنها لها جَـدُّها خصِّيـصًا، عـلى الـرغم مـن أن الأقمـشة والألوان بدت في البداية أكبر من مرحلتها العُمرية. لقد حاكت الجـدة اللحاف بنفسها، بالإضافة إلى الستائر ووسائد الـسرير، بحيـث سـتدوم مدى الحياة. من ثَمَّ، أحبَّت "إنيس" أغطية السرير المـشكلة بمربعـات؛ كـل ذلـك نـشأ مـن هـذا اللحـاف المخمـلي الأول، ذي اللـونين الأزرق والأبيض، بمربعات في جانب، وزهور في جانب آخر. بعد العـشاء، تُعـد الجدة لها السرير لكي تنـام، تفـرش اللحـاف، ثـم تثنيـه ليظهـر الجـزء العلـوي مـن الوسـائد، ذات الأكيـاس المزخرفـة. يوجـد عـلى الطاولـة المجاورة للسرير، مـصباح مُـضاء، وإبريـق مـاء صـغير، وكـوب، وعلبـة مناديل ورقية، وكتاب عـادةً مـا يكـون مـن اختيـارات الجـدة. كانـت هناك أيضًا رائحة اللافنـدر، التـي تنبعـث بلطـف مـن أركـان الحجـرة بسبب وجـود غـصن يـانع أو شـمعة متروكـة بجـوار جَـدَّتها. في تلـك الغرفة كانت الجدة تستطيع أن تُعالجهـا مـن أي شيء. عنـدما كانـت

"إنيس" في سن الصبا، كانت الجدة تأخذها من يدها إلى الغرفة، وتضعها على السرير وتغطيها، وترفع الوسائد، وتسدل الستائر لتصبح الغرفة مُظلمة. في دفء الغرفة المغلقة، كانت الجدة تجلس بجانبها، وتُمشِّط شعرها حتى تنام بعُمق؛ لأن النوم، كما تقول جَدَّتها، أفضل علاج، و"إنيس" تصدق ذلك، بالدم والروح. لذلك متى احتاجت "إنيس" إلى أي معاونة، ترقد على السرير، أينما كان السرير؛ في بوينس آيريس، أو باريس، أو "أبيدجان".. تغلق عينيها وتحاول أن تستحضر رائحة لذيذة "إن لم يكن لافندر"، دعنا نقُل قرفة، ليتيح لها أن تتطهَّر من أي شيء لا يمكن لضوء النهار في أي بلد جديد أن يُعقِّمه. في فترة ما بعد الظهر في ذلك الصيف في الأمازون، ليس بعد آخر مرة تم ترحيل "مانويل" فيها، كان التَّوتُّر شديدًا، لذا ألقت "إنيس" بوجهها في اللحاف المخملي. عندما استيقظت، بعد ساعات عديدة، أحسَّت بأنها مُفعمة بالحيوية، كأنها اندفعت بقوة البرق، وقالت:

- لا بد أن نُكوِّن صداقات.

بدا الأمر طفوليًّا، حتى إن "مانويل" بدأ في الضحك، لكنها أصرَّت ككلب صغير يلهث:

- أريد أن أتحدث مع الناس الآخرين، أشعر بالوحدة.

أَحسَّ بأنه إذا لم يوافق فـستنقلب بهجتهـا الغريبـة حـالًا إلى دمـوع؛ لذلك شجَّعها على دعوة بعض الناس. فسألت وقد لوت شفتيها بتشاؤم:

- ولكن مَن؟

فأجابها تلقائيًا دون أن يُفكِّر:

- أصدقاء من المدرسة.

ظلَّت "إنيس" تُفكِّر لفـترة، وبـدأت تُعـدِّد الأطفـال الـذين جـاؤوا إلى منزلهم بين الحين والآخر، والآباء الذين قابلتهم عنـد الانـصراف. في نهايـة المطاف، لم يكن من الصعب إنشاء قائمة بالأشخاص، ثم قائمة طعام.

ماذا يمكنها أن تفعل؟ بالتأكيد لا يجب أن يكون صنفًا يثـير الـشكوى أو يصعب أن ينال رضا الناس؛ ينبغي أن يكون صـنفًا عالميًـا يتوافـق مـع كل الأذواق. استدعت "إنيس" النساء، وحدَّدت ميعـادًا للأسـبوع القـادم، وبدأت في الإعدادات. تدخل "مانويل":

- ماذا عن لحم الخنزير؟

(لأنه يحب لحم الخنزير). فقالت:

- ثقيل جدًّا.

فعرض عليها قائلًا:

- إذًا فليكن سمكًا؟

قال ذلك لمُجرَّد أن يقول شيئًا ما، فهو لا يحب السمك. واستقرَّت على أن السمك ممتاز.

ذهبت إلى السوق مُبكِّرًا في الصباح، واشترت حوت سمك وزنه عشرون رطلًا، وطهته في الفرن ببُطءٍ، بعد أن أغرقته بالليمون، والثوم والبقدونس، ولفَّته في ورق ألومنيوم رقيق لكي يمتزج كل ذلك مع الزبد. لم تهتم "إنيس" بأن الجو كان عاصفًا منذ الفجر، وأنها أمطرت بغزارة بعد الظهر. إنها تعرف نفسها، تعرف أن أي اهتزاز في معنوياتها قد يجعلها تريد الموت، ولكن ليس قبل أن تقتل "مانويل". لذلك سوف تقدم، نعم، سوف تقدم السمكة الكبيرة مع البطاطا والفلفل الأخضر الرومي، المُتبَّل بالليمون بغزارة. فكَّرت فجأة، وقد لمعت الفكرة بحماس الإلهام:

- لماذا لا يكون هناك فاتح للشهية؟

رجعت فورًا إلى السوق.

سرعان ما خلطت المايونيز بالكرفس المفروم، والبقدونس، والفلفل المخلل، والمسطردة، وقليل من صلصة الفلفل الأحمر الحار "التوباسكو"،

وصلصة "وورسيسترشاير"، ثم غسلت لحم السلطعون وقطَّعته، وسقت أنصاف الأفوكادو بعصير الليمون. أخيرًا، وضعت طبقة من الجرجير في كل طبق، وأضافت نصف أفوكادو محشوًّا بلحم السلطعون، وصبَّت فوق كل ذلك ملعقة صلصة كبيرة. أما بخصوص الزينة، فقد وضعت شرائح طماطم وزيتونًا أسودَ. أخذ "مانويل" يشاهدها، وهو مُنبهر من مهارتها المُكتسبة في الطَّهو. وقال:

- كل شيء بالليمون!

نظر من النافذة، حيث المطر يهطل بغزارة أكثر من أي وقت مضى. استدارت "إنيس" مُتأهِّبة لمعركة، مشتعلة غضبًا من تعليقه، لكنها وجدت نفسها أمام رجل مُنهك. أدركت أنها ليست وحدها التي تشعر بالاغتراب وعدم الاستقرار في هذه المدينة الجديدة الشيطانية. فقالت:

- دعنا نعد المائدة.

هذه مشاهد من حياتها تمنَّت لو أنها جمعتها في "كولاج" لتحتفظ بها للأبد، حتى لو كانت مشاهد غير مهمة لأن تُجمع؛ تضع هي و"مانويل" النباتات في الأُصُص، ويختاران أفضل الأماكن لوضعها في المنزل الجديد، أو يشرب كلاهما عصير البرتقال من الكوب نفسه، بينما ينظران في صور أوقاتهما التي كانت أكثر سعادة معًا. الآن هما يستعدان لإحضار الأطباق

إلى الطَّاولة، هو يُغنِّي مثل "تشارلز أزنافور"، وهي تتظاهر بأنها سعيدة. تتساءل "إنيس" إذا كان "مانويل" يبكي أيضًا، وإن كانت تفضل أن تصدق القول المأثور أن الرجال لا يبكون. كانت هذه هي طريقتها في مُوازنة الأمور. في الواقع... "مانويل" أحبَّها دائمًا أكثر من حُبِّها له وحتى وقت قريب، لم يعد هذا عيبًا.

نظر "مانويل" إلى الساعة، فقد دعوا الضيوف في الساعة الثامنة، والساعة الآن تجاوزت التاسعة. تُسرع "إنيس" من وإلى المطبخ تُحيطها سحابة من الثوم والزبد. لفَّت حول الطَّاولة بتوتُّر، تضع شمعة هنا، وفوطة مائدة هناك، طلبت من "مانويل" أن يغير ملابسه بسُرعة، ولكن عليه أن يقطع الخبز أوَّلًا. هناك رعد في الخارج. وقف "مانويل" وظهره إلى المطبخ، وضع يده على ساعته الرقمية لكي لا ينظر فيها مُجدَّدًا. فكَّر في أن يخرج قليلًا، حتى لا يُواجه "إنيس" التي بدأت تسأله عن الساعة. في بلدهم التأخير لنصف ساعة أمر مقبول، إنما ساعة تأخيرًا فهذه علامة سيئة. إنه يتصبَّب عرقًا، حتى بعد أن أخذ دُشًّا، وبدأ يسمع الثواني تدقُّ بعنف في صدره. فهم ما ينتظره، عاصفة غضبها سترمي به على الصخر؛ وظيفته، عدم رغبته في إنجاب أطفال، سنواتهما في المنفى... ستبكي "إنيس"، وستمقته حتى يطلب منها المغفرة، التي تمنحه منها القليل كل يوم، تاركة علامات من السلام مُبعثرة في البيت. إنه يعرف الطقوس جيِّدًا، ولكنه شعر في هذه المرَّة بأنه أشد إنهاكًا من متابعتها. إن لم يحضر أحد

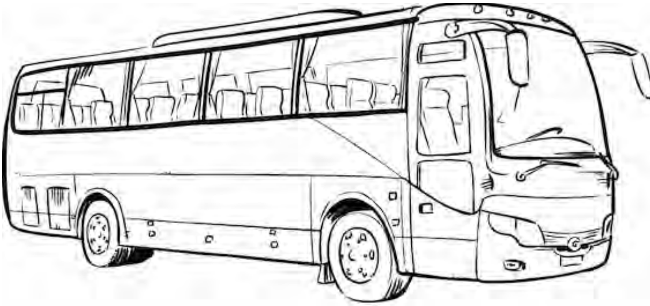
إلى الحفل، فستنهار "إنيس" أوَّلًا، وبعـدها سـتُغرقه بوابـل مـن التـوبيخ، يخنق "مانويل" مثل رائحة الفاكهـة المُتخمِّـرة، المُنتـشرة عـلى أرض هـذه المدينة المُكتظَّة بالأشجار. مرَّةً أخرى، يومض البرق خـارج النافـذة. غـيَّرت "إنيس" ملابسها أيضًا. غسلت وجهها، ووضعت لمسة من الـرُّوج، عيناهـا صافيتان، أو كما يُفكِّر "مانويل" ربما كانت تبكي وهـو يتبعهـا إلى المطـبخ في صمت.

كانـت الـساعة تقريبًـا العـاشرة عنـدما رنَّ الجـرس، انـدهش "مانويـل" ووقف بلا حراك بجانـب البـاب. ابتـسمت "إنـيس"، وأشـارت لـه أن يفـتح الباب. بدت الآن ودودة، مثل فتـاة صـغيرة سـاذجة تحـضر أوَّل حفـل لهـا. وابتسم لها وهو مُتوجِّه لكي يفتح البـاب. رحَّـب بالـضيوف الـذين توافـدوا جُملةً واحدةً، وتوجَّه بهم إلى غرفة المعيـشة. لقـد أحـضر الـضيوف معهـم زجاجات نبيذ. شكرهم، لم يدرِ ماذا يقول بشأن الزجاجات؛ لأنه ليس لديـه فكرة عن هذا أو ذاك. فالنبيذ يُسبِّب حموضة، وكرعًا لـ"مانويـل"، ومذاقـه مُرٌّ قليلًا بالنسبة له، يمكـن أن يـشرب قلـيلًا جـدًّا في المناسـبات. ففـضَّل أن يتكلَّم عن الجو بدلًا مـن ذلـك، عـن سـيول الأمطـار، حتـى جـاءت زوجتـه فأنقذته. قدَّمت نفسها بشكل غير رسمي، وأضاءت الشمعة التـي وضـعتها على الطَّاولة الجانبية، وسرعان مـا اسـتحوذت عـلى المُحادثـة، تـضحك عـلى نفـسها، عـلى مهارتهـا المـشكوك فيهـا في الطَّهـو وعـلى أدوات مطبخهـا الجديـدة، وهــي تحـذرهم مـن النتيجـة غـير المُتوقَّعـة مـن تجربتهـا في

الطبخ. دائمًا ما يعجب "مانويل" في "إنيس" قُدرتها على ضمان تعاطف الآخرين عن طريق نزع أسلحتهم بضعفها، ونهجها غير المُدوَّن في الحياة؛ سمات جذَّابة، لا شيء فيها بشكل أو بآخر. نظر إليها، وتنفَّس بارتياح. لقد اجتازا الموقف، على الأقل هذه المرَّة.



مُعجزة حقيقيَّة



راحت "كاتالينا" تلقي نظرة هنا وهناك في المنـزل اسـتعدادًا لرحلتهـا إلى الرِّيف. إنها مسرورة للغايـة، لأن أباهـا يـسمح لهـا بالـذهاب للمـرَّة الأولى، على الرغم من أنها ستقضي أيامًا عديدة، وسيذهبون بالبـاص، وأن "أليخاندرا" تضربها، كلها أسباب تُمكِّن "بابا" من قـول لا. لم يحـب "بابـا" "أليخاندرا". في الحقيقـة، عنـدما لا تكـون حـاضرة، يـشير إليهـا بقولـه: " تلك العاهرة الصغيرة". على الجانب الآخر، ماما تحب "أليخانـدرا"؛ لأنهـا ابنة جارتها، التي كانت أيضًا صديقة طفولة لماما، والتي تناديها "كاتالينا" بـ"الخالة"، على الرغم مـن أنهـا ليـست خالتهـا الحقيقيـة. وبـالطبع، بمـا أن كل رغبة لماما أصبحت مقدسـة بعـد موتهـا، سـمح بابـا لــ"كاتالينـا" أن تـذهب. كانـت قـد بـدأت تُـؤمن بـالمعجزات. المعجـزات المغمـورة بالـشفقة، التـي لا تولـد عـلى يـد قـديس، ولكـن بـسبب وجههـا اليتـيم المُضيء. عرفت "كاتالينا" - لأن أُمَّها أوضـحت لهـا ذلـك مـرَّات عديـدة - أنــه لا يمكنــك أن تــرضي الجميــع طــوال الوقــت، وينبغــي ألا تغـضبي

من ذلك. وعرفت أيضًا أن الكبار عندما يدعون شخصًا ما بـ"الشقي" فمعناه أنه "لا يُطاق". وتساءلت بوازع ديني إذا كان الناس يعاملونها بلطف لا يزيفون ذلك لأنهم يخشون من ماما أن تراقبهم من السماء. فعلى سبيل المثال، ليس هناك طريقة أخرى لتفسير سلوك السيدة "إيزادورا"، التي كانت فظيعة كالحمامة السمينة، اعتادت أن تجعل "كاتالينا" تأكل سلطة الفول الأخضر، وهي تعلم أنها تكرهها، والآن أصبحت فجأة تسأل: "ماذا يمكنني أن أقدم للآنسة الصغيرة؟".

آه، لو بابا يعرف أن ما تحبه في "أليخاندرا" ليس اللعب معها. لقد أحبَّت شقَّة أسرتها، وتظاهرت بأنها جزء من هذه الأسرة. لا حاجة إلى إخبار بابا بذلك. سوف يشعر بالسوء حيال ذلك، علاوة على ذلك، وما كان ليتفهَّم ما الذي جعل "كاتالينا" تحب هذه الضوضاء، والفوضى، والطريقة التي يقاطع بها إخوة "أليخاندرا" بعضهم بعضًا، ويخطفون الأشياء من بعضهم بعضًا. أحبَّت ضحكهم العالي، وبالأخص أنه لم يكن مدويًا. ففي منزل "كاتالينا" كل شيء له صدى صوت، وخاصة وقع قدمي بابا. إن "كاتالينا" تسمعها بمُجرَّد أن يخرج من المصعد ويعبر الممر، ويفتح باب الشقة الثقيل المصفح. وهناك شيء ما آخر أحبَّته في شقَّة "أليخاندرا"؛ لا توجد قضبان على الباب لأن لديهم كلبًا، كلبًا أسودَ نباحه عالٍ. وضع بابا القضبان بسبب عمليات الخطف في الآونة الأخيرة، واللصوص الذين يقتحمون منزلك ويصوبون مُسدَّسًا على رأسك

ويأخـذون كـل شيء. إنهـم يمكـنهم أن يطلقـوا عليـك الرصـاص ويقتلـوا الكلب أيضًا... مسكين يا بابا.

ولكن "كاتالينا" لا تريد إلا أن تُفكِّر في الرحلة فقـط. لتنـسى موضـوع زجاجات الويسكي الفارغـة التـي وجـدتها مُخبَّـأة تحـت وسـائد الكـرسي الفوتيه. أرادت فقط أن تُفكِّر فيما سيُغنينه في البـاص؛ لأن "الخالـة" لهـا صوت جميل، بالـضبط مثـل صـوت مامـا، وتُغنِّـي مـع البنـات بـنغمات مختلفة كأنه كورال تؤديه امرأة واحدة. تحب "كاتالينا" أن تغني، ولكـن ليس بقدر ما تحب الطبخ. إنها سعيدة لأنها أعدت شنطة ساندويتـشات للطريق، كما اعتادت أن تفعل ماما، مع البيض المـسلوق والمـايونيز. قـال بابا إن هذه الساندويتشات كافية لأن تؤكل في البيت؛ لأنه ليس هناك ما يبعث على الاشمئزاز أكثر من سلطة البيض والرائحـة الكريهـة التـي تملأ الباص حينما تفتح الشنطة. غـير أن "كاتالينـا" لم تعبـأ بكلامـه، لأن عـدم أخـذ الساندويتـشات خيانـة لمامـا. أخـيرًا استـسلم بابـا، ودسَّ البطَّانيـة الفاخرة في شنطة الظهر مع شنطة مملوءة بالحلويات ورقائق البطـاطس الشيبسي؛ لتشاركها مع الفتيات الأخريات، آملًا أن هذا يجعل ابنته تنسى الساندويتشات.

ضغطت "كاتالينا" على جرس الباب ثلاث مرَّات مُتتالية. اضطر بابا أن يبعد يدها عن الزِّرِّ. انفتح الباب، وصاح صوت:

- ادخل.

كاد قلب الفتاة يخرج من فمها عندما رأت كل حزم الأمتعة مُتناثرة في الصالة. نظرت الفتاة إلى سلال الطعام، والملابس الخارجة من الحقائب المغلقة بطريقة سيئة، والدُّمى المُعبَّأة في شُنَط التَّسوُّق البلاستيك. هناك كثير من كل شيء، مُلقى بشتَّى الطُّرُق. قلق بابا من كيف أن كل هذا من المفترض أن يكون في الباص، وخشي أن يُؤخِّرهم هذا. لكن "الخالة" قالت:

- لا تقلق، لدينا وقت كافٍ.

كان ذلك من عادات الخالة. ربما يغير بابا رأيه. لم يفهم بابا كيف أن الخالة يمكن أن تتأخَّر في كل شيء، تُمشِّط شعر بناتها في المصعد أيًّا كان موجودًا بالصُّدفة، أو كيف تدعو الناس للعشاء، ولا تبدأ الطَّهو إلا بعد وصول الضيوف. من ناحية أخرى، تمنَّت ماما لو أنها تشبه الخالة ولو قليلًا. اعتادت أن تقول: "هي أكثر حرية"، وكذلك راحت "كاتالينا" تراقب الخالة بحرص، وتحاول أن تُقلِّدها. كان بابا مُغتاظًا من شرود "كاتالينا" في الفترة الأخيرة. ومع ذلك، سارت على نهج الخالة بشغف، تترك "تُرمس" الماء في حمَّامات المدرسة كل يوم. وهذا أغضب بابا. بطبيعة الحال، لو أن لدى "كاتالينا" ابنة، ما كانت ستتركها مُطلقًا في مقعد السيارة، وتغلق عليها السيارة في حرارة ما بعد الظهر. مثلما فعلت الخالة مع "أليخاندرا" عندما كانت رضيعة. بابا على حق؛ لن تكون "كاتالينا" مُطلقًا بهذا الجنون. ما أحبَّته "كاتالينا" فعلًا هو أن الخالة

لديها دائمًا شيء مُمتع تـشارك بـه، فكانـت لـذلك مُـسلِّية جـدًّا، عكـس "كاتالينا" التي لم يكن لديها أي شيء تقوله منذ ما حدث لماما. كما لـو أن كسرة خبز انحشرت في زورها، فتورَّمت، مثـل مـرض "القرنبيطيـة" الـذي أدى إلى ورم ذات مرَّة في أُذن "كاتالينا".

أخيرًا، وصلوا إلى محطة الباص. لم تصدق "كاتالينـا" أن يحـدث ذلـك، ولا بابا. وبينما هم ينتظرون الباص، كاد يغير رأيـه ويأخـذ ابنتـه ويرجـع بها. فراح يُفكِّر، هناك نساء كثيرات من دون رفيق. وابنتـه و"أليخانـدرا"، أخت "أليخاندرا" الكبرى وأختها الصغرى، وخادمة عجوز، والخالة الجارة، والمفـترض أنهـا المـسؤولة مُحاطـة بـشُنَط الطعـام، والملابـس، والـدُّمى. انقبضت معدة بابا. انحنى، نظر في عينيها، وأمسك بذقنها، وقال:

- أحسني السلوك.

أومأت "كاتالينا"، وألقت بذراعيها حول رقبته في حضن عفوي. يا لبابا المسكين! لكنها كانت مسرورة جدًّا لأنها شقَّت طريقها في البـاص الأزرق، المُغطَّى بالتراب والقاذورات. لاحظت "كاتالينا" أن طبقـة الوسـخ كثيفـة، حتى إنها في بعض المناطق من الصعب أن ترى الـدهان ولـو اسـتخدمت أظافرها. وحتى لما بدأت الرحلة في الطرق الوعرة، خلال السكك المُسفلتة بشكل سيئ في المدينة، والطرق الصخرية المُؤدِّية إلى مقصدهم، لم تتطاير طبقة التراب.

لكنها لم تلقِ بألَّا للطرق الوعرة، ولا النوافذ التي لا تغلق تمامًا، كما لو أنها ترحب بهواء الجبال البارد، ثم برائحة الأشجار الاستوائية المتسلقة. ولم تهتم أيضًا بالغمام الذي تحوَّل إلى اللون القرمزي، ثم الأسود، مُنذرًا بأمطار غزيرة، إذ ذهب الصباح ونزل الباص من قمَّة الجبال. "كاتالينا" طفلة قوية المُلاحظة. بين الحين والآخر، تشم رائحة بابا المميزة، من تلك الزجاجات الصغيرة المُخبَّأة خلف الكتب، لكن الرائحة تلاشت، أو نسيتها واستمرت في اللعب والضحك مع "أليخاندرا"، بينما الركاب الآخرون بدؤوا يغفون، وبدأت الخالة في حل الكلمات المتقاطعة لليوم، في صحيفة نصف مطوية.

بينما أمها والخادمة لم ينظرا، وأخرجت "أليخاندرا" رأسها من النافذة لكي تبلل يديها ووجهها بقطرات المياه الساقطة من أعالي الجبال لتصطدم بسطح الباص. أرادت "كاتالينا" أن تفعل الشيء نفسه، لكي تهدأ، وتتخلَّص من لسعة العرق الذي جعلها تشعر بالدوخة. أخرجت يدها اليُسرى أوَّلًا، ثم رأسها، ولكن عندما أوشكت أن تخرج جذعها كله، وبختها "أليخاندرا". لم تصدقها "كاتالينا". غمغمت: "عاهرة صغيرة"، خجلى ومغتاظة من توبيخ "أليخاندرا" المزعج أمام كل الركاب. لم تكن لديها فُرصة لتدافع عن نفسها، لتقول إن الفكرة لم تكن فكرتها وحدها، وإن "أليخاندرا" فعلت الشيء نفسه، وإنهم إذا لم يصدقوها فلينظروا إلى شعر "أليخاندرا" المُبلَّل والملتصق بجبينها... قالت ثانية: "عاهرة"،

ولكنها أدركت على الفور أن هذه الكلمة القبيحة التي ترنُّ بين أسنانها ممنوعة؛ لأن ماما تكره هذه الكلمة. تمنَّت لو أن معجزة تأخذها إلى ماما. ربما سلم، لا يهم طوله. سوف تتسلَّقه لتصل إليها. تذكر "كاتالينا" عندما سألت ماما من أين يأتي الأطفال فأجابتها:

- من السماء.

إجابة جعلت "كاتالينا" تُفكِّر:

- ولكنهم كيف يهبطون من السماء؟

لمَّت ماما شعرها خلف أذنها، وردَّت:

- بسُلَّم، سُلَّم طويل إلى أسفل.

لم تمتلك "كاتالينا" الشجاعة لتخبر أُمَّها أنها تعرف الحقيقة، أن "أليخاندرا" أخبرتها بكل شيء، بالتفصيل، منذ فترة طويلة:

- الأطفال يأتون من مُؤخِّرتكِ، يا للسَّخف!

تعرف "كاتالينا" كيف تكبح رغبتها المُلحَّة في البُكاء بالقبض على يديها بشدَّة. أسندت رأسها إلى النافذة، وأغلقت عينيها، وشعرت بهطول المطر كأنه قرع طبول إفريقية. انهمر المطر للتَّوِّ بشدَّة وتخيَّلت رقصة آكلي لحوم البشر، التي أكلت فيها مُقلتي عيني صديقتها، واحدة تلو الأخرى.

بـدأ البـاص مـن الـداخل يُـصاب بالبلـل، وعنـدما فتحـت "كاتالينـا" حقائـب الساندويتـشات، انتـشرت في البـاص رائحـة البـيض. ولما رأتهـا "أليخاندرا" تأكل، قالت:

- أنتِ مُقزِّزة، يا خنزيرة.

حدَّقت فيها "كاتالينا"، ووزَّعت ثلاثـة ساندويتـشات حولهـا. لم تقبـل أخـوات "أليخانـدرا" عرضـها، بيـنما أخـذت "أليخانـدرا" قـضمة مـن ساندويتش في حين تحاول، بلا جدوى، أن تسد النافـذة بكـيس بلاسـتيك. غمرت أمواج من المياه الطريق الترابي، الـذي قطعـوه في عـزِّ الحـرارة، في ضربات مُتتالية، بلَّت الأرض أوَّلًا، ثم غمرتها، وتركت رغاوى على السطح، وفي النهاية غرقت تجاويف الطريق، محولة طين الطريـق إلى وحـل لـزج مميت. أصبحت "كاتالينا" مدركة بـأن الطريـق وعـر ضـيق، مثـل ثعبـان "باسيليسك" مُتحجِّر محـصور بـين جبـل عـلى اليمـين وجَـرْف عـالٍ عـلى اليسار. تشم مرَّة أخرى رائحة عرق الجسم، ورائحة البـيض، بالإضـافة إلى رائحة الزجاجات الصغيرة التي جمعها بابا على مرِّ السنين. قالت:

- شيء ما نتن.

دون أن تجرؤ وتقول ما هو، معتقدة أن بابا ربما أراد أن يختفـي مـع محتويـات الزجاجـات الـصغيرة. كلماتهـا حـذرت الخالـة. شـاهدتها

"كاتالينا" تثب من على مقعدها ككتلة من المطَّاط، وسارت بعد ذلك تجاه باب الباص، بينما تحاول أن تحفظ توازنها. من المضحك أن تشاهدها؛ فالخالة تتصرَّف كالكلاب، تجعد أنفها وتتشمَّم بطريقة الكلاب نفسها في القمامة حتى تجد ما تبحث عنه. إنها لا تحبها على الإطلاق. بدأت ترتعش؛ فالراكب الذي بجانب السائق، غير واعٍ بالخالة خلفه، ناول السائق زجاجة كحول، فأمسك بها في الهواء وشربها علنًا، بشراهة حتى أفرغ الزجاجة. ثم هزَّ رأسه وقال شيئًا غير واضح:

- غررررررررررررررر.

تعرف "كاتالينا" هذه الضجة. فبابا يفعلها أحيانًا عندما يجلس في غرفة المعيشة والأضواء مُطفأة. وماما، كذلك، عندما تنحني على حوض الغسيل المعدني، وتشد الإيشارب على رأسها، وتتوسَّل:

- أرجوك، دعني وحدي.

تبدو الخالة، التي لم تزل واقفة، قلقة، وجهها مُحمر من الغضب. أوشكت أن تصيح على السائق، أو بالأحرى على الراكب الذي بجانبه، طالما السائق نفسه تجاهلها، ويُمضمض الكحول في فمه بصوت عالٍ، ثم يبلعه. لم تظهر الأمطار المنهمرة أي علامة على التوقُّف، والباص يتطوَّح فوق الأرض، وتمسك "أليجندرا" بيد "كاتالينا"، دون أن تقول أي كلمة،

منتظـرة مـاذا سـتفعل أُمُّهـا. بـدأت الخالـة في الـصُّراخ، تحـرِّض الركـاب الآخرين على الكحـول، صـائحة بـأن الـسائق سـيقتلهم جميعًـا، ولكـن لم يتحرك أحد. بعضهم نام، والآخرون نظروا إليها في صمت. وقال صـوت في آخر الأتوبيس ساخرًا منها:

- ليست هناك مشكلة، يا شمطاء.

استدارت خادمة الخالة إلى الرجل، وصاحت:

- اخرس يا أحمق!!

فقال الصوت الذي في الخلف:

- يا سائق، إذا كانوا سيسببون إزعاجًا، دعهم ينزلوا.

أخذت "كاتالينا" نفسًا عميقًا. علَّمتها ماما أن تفعل ذلـك كي تهـدأ في المواقف الصعبة.

وقـف البـاص، ورجـع بـالخلف ليُفـسح الطريـق لعربـة نقـل صـاعدة الطَّريق الضَّيِّق المُتعرِّج. دفعت "كاتالينا" بنفـسها بجانـب النافـذة. البـاص قريـب جـدًّا مـن حافَّـة الجـرف، قريـب للغايـة. يمكـن أن تـرى "كاتالينـا" الوادي الأخضر تحتها. أخبرها بابا أن الموت لا يُؤلم. المرض يُـؤلم، أمـا المـوت فلا، لا تشعرين بأي شيء. وهذا سبب عدم قلقها على ماما، فـالموت يُـشبه

النوم. أسندت "كاتالينا" رأسها إلى الزجاج وفكَّرت في ماما، لكنها في هـذه المرَّة منزعجة من صوت الموتور. تعلَّقت العجلة الخلفية للباص في الهواء، ضغط السائق على بدَّال الـسرعة بيـأس، محـاولًا أن يُعيـده إلى الطريـق. المطـر مـستمر، والبـاص يتـأرجح، والبنـات في صـمت. أعيُـنهنَّ مفتوحـة وقلقة، بينما الخالة الكئيبة اليائسة بدأت تُمـزِّق قـصاصات مـن صـحيفة الكلمات المتقاطعة وتكتب في كل قصاصة بخـط كبـير. جلـست وأعطـت كل فتاة قصاصة مطويـة مـن الـصحيفة. أخـبرتهن ألا يفـتحن القـصاصة، ووضعت كل منهن قـصاصتها في جيبهـا دون كلمـة، باسـتثناء "كاتالينـا"، أخفتها بين رُكبتيها، وظهر الشحوب على وجهها وهي تقرأ القصاصة: "إذا حدث أي شيء، فاعرفوا أن السائق كان مخمورًا". ضغطت "كاتالينا" عـلى أسنانها بقوَّة، بينما انفتح فراغ في جوفها وقلبها، يا لبابا المسكين! أحـسَّت بهذه الكلمات في صدرها، وبدأت تدعو.



"ويزرينج"


Whatever our souls are made of, his and mine are the same."
~Catherine
You are welcome to torture me to death for your amusement, only allow me to amuse myself a little in the same style
~Heathcliff
WutheringHeights
Emily Bronte

ما زلتُ هذا الصباح أشعر بالغضب من جَدَّتي، على الرغم من أننا تصالحنا شكليًّا الليلة الماضية. لذا ظللتُ بعيدًا عنها، كي أُعاقبها، ولأجعلها تُحسُّ بالذنب لأنها وجدتني كما اعتادت أن تقول، لأُثبت بالفعل أنها غلطتها، وأنني بريئة. أكره الطريقة التي من المُفترض أن أتصرَّف بها وكأنني مدينة لها، أن أبتسم، وأبتسم، وكأنما عليَّ أن أتذكر دائمًا أن أجعل ظهري مشدودًا ومستقيمًا، رغم أن تركه للانحناء والترهُّل أمر أكثر راحة بكثير.

ولكي أتجنَّبها، قرَّرتُ أن آخذ حمَّام شمس في الحديقة؛ شيء تكرهه، وأعرف السبب. أوَّلًا، تكره اكتسابي اللون الأسمر. والأمر لا يتعلَّق بلفحات الشمس بقدر ما يتعلَّق بحقيقة انزعاجها من رؤية بشرتي سمراء بشكل واضح. ثانيًا، تكرهني في البكيني، فهو صغير جدًّا لا يكاد يُخفي شيئًا، الأمر الذي لا يمكنها تجاهله حينما أستلقي على ظهري. تم إنجاز المهمة، ولكن لمُجرَّد التأكيد أُضيف شيئًا ثالثًا لا تُطيقه، وهو أن أضع السَّمَّاعات في أُذنيَّ، لأؤنس نفسي بالموسيقى.

الشمس هنا مُتعطِّشة للدِّماء. إذا كانت إلهة، فإنها سادية، ترضي نفسها بشكل شاذٍّ عن طريق تحميص جلود البشر. أستطيع أن أحسَّ بقوَّتها وهي تتغلغل في جسمي. في الوقت نفسه، تقص جَدَّتي البراعم من شجر الورد، حتى النبات يتأثَّر بلفحة الشمس. إنها تنشط لفترة، ثم تتوقف لتسقط ظلَّها فوقي تمامًا. ومع ذلك لا أتقلَّب، وأعلم أن جَدَّتي هناك تحجب عنِّي الشمس. بعد فترة، تنصرف دون أن تنطق بكلمة.

إن جَدَّتي لا تُيسِّر الأمور لي، إنها لا تُشبه أُمِّي؛ بدلًا من أن تجهر بخطئي، تتحسَّس داخلي من بعيد. إنها طريقة أكثر إبداعًا... تُلقي على فوطتي نسخة من رواية "مُرتفعات ويزرينج"، وتنزع إحدى السَّمَّاعات من أُذني وتقول:

- "إيميلي برونتي" كانت عبقرية، يقولون إنها كانت تُعاني من انعدام الشهية، فدائمًا تصوم.

إنها ضربة تحت الحزام، بعد ما حدث في الليلة الماضية، سألتْ:

- "ويزرينج"، بماذا تُذكِّركِ هذه الكلمة؟

- ليس لديَّ فكرة.

أجبتُ، وأنا لم أزل مُتضايقة، وإن تردَّدت في ذهني كلمات، مثل "ويزرينج"، انتحاب، هدير، دُوار، تألُّم، يأس.

جلستْ على حافَّة الدكة في البرجولة، بالكاد مُظلَّلة بالتعريشة، قريبة جدًّا من فوطتي، حيث يمكنني أن أستدير وأنظر إليها. تبدو عيناها من هذه الزاوية مُتوهِّجتين. قالت، وكأن لم يحدث بيننا شيء:

- "ويزرينج"، كلمة قوية وحزينة، رياح قاسية، مأساوية مثل حياة "إيميلي" نفسها.

سمحت لها بالتأثير على غضبي. نظرتها الصافية بمثابة مصيدة. أُحِبُّ الكلمات جدًّا، فقد جمعناها معًا، وإن كانت اتِّجاهاتنا مختلفة. فعندما نتحدَّث عن الكُتَّاب المثليين، مثلًا، تختار "فرلان"، وأنا أختار "رامبو"، و"وايلد"، و"كابوتي". أحب الكُتَّاب المثليين، وجَدَّتي؟ إنها تحب "بودلير". فقلت من دون تفكير:

- "ويزرينج"، مثل رياح صارخة، وعواصف.

تبتسم لي بعطف، فأردف وكلي شعور بالطموح:

- سيول، فيضان، قسوة، خراب.

تنظر إليَّ برضا. أُفكِّر في شيء تحب أختي أن تقولـه: "النـساء مُقـرَّات جدًّا بالجميل"، وهذه حقيقة. بغضِّ النظر عمَّا نحصل عليـه، فـنحن نُقِـرُّ بالجميل... تعرف جَدَّتي أنني لا أستطيع مقاومة اهتماماتهـا مهـما كانـت صغيرة. كثير من الناس لا يعلمون أن "مرتفعات ويزرينج" كتـاب، ولـيس مُجرَّد فيلم كلاسيكي. أنا لم أعرف، فلاطفتني:

- كتبت "إيميلي" "مرتفعـات ويـزرينج" وهـي في الثامنـة والعـشرين، ونشرتها باسم رجل "أليس بيل".

للحظة، فكَّرت أن أبدأ في خطبة نسوية مُطوَّلة كتلك التي أسـمعها في البيت، ولكن مثل هذا الشيء يمكن مناقشته مع جَدَّتي. لذا بدلًا من ذلك، سألت عن أوَّل شيء طرأ على بالي:

- لماذا؟

فنظرت إليَّ مُباشرةً:

- لماذا ماذا؟ تقصدين لماذا كتبتها باسم مُستعار؟

فأومأتُ برأسي بتردُّد:

- أعتقد لتتجنَّب إيذاء أخيها.

وشرحت لي أن الأب "باتريك برونتـي" كـان قسِّيـسًا إنجيليًّـا، غريـب الأطوار، لديه ستَّة أطفال؛ خمس بنات، وولد. تحمل ابنه "برانويل" وطأة آمال الأسرة، ولم يستطع تحمُّل الضغط. انتهى بأنه قـضى حياتـه دون أن يترك أثرًا. طغت عليه موهبة أخواته، وأتلفه الأفيون والكحول، حتى مات أخيرًا بمرض السُّل. علَّقت:

- إنه لأمر مُذهل! كم هي مؤلمة آمال مَن يحبوننا!

سررت بهذه الإشارة الخفية لمـوقفي الشخـصي، لكنهـا لم تُجـب، كـان عتابها واضحًا.

عندما تنهزم في مُحادثـة، تقنـع بـأن تتركهـا تـتلاشى. الـدراما تُزعجهـا (وهذا جزئيًّا سبب إزعاجها لي). كسرتُ الصمت:

- قلتِ إن له خمس بنات؟

- "ماريا"، و"إليزابيث"، و"شارلوت"، و"إيميلي"، و"آنا".

توقَّفتْ قليلًا، وأغمضتْ عينيها قبل أن تمضي:

- لم يُولد أحد في هذه الأسرة محظوظًـا. لقـد أُرسـلت البنـات الأربـع الأُوليات إلى مدرسة داخلية، كانت "ماريا" في الحاديـة عـشرة، و"إيمـيلي"

في السادسة فقط. وهناك ماتت "ماريـا"، و"إليزابيـث" بالـسُّل، والجـوع، وبلا شك بالحُزن.

كررتُ:

- الحُزن.

الشمس تبعد الحُزن حرقًـا، وتُـوخزني في سـاقي وكتفـي. هـذه الليلـة سيجعلني الألم أصرخ، ولكـن لا أبـالي. أُغمـض عينـيَّ وأُركِّـز عـلى صـوت جَدَّتي الدَّافئ والوقور.

- قتلتهما مُدرِّسة! الأستاذة "آنـدروز". "آنـدروز"! لا تنـسي أبـدًا اسـمًا شريرًا.

تُعنِّفني، وأعدها بأن أتـذكَّر. ولـكي تُـبرِّر ضغينتها، تـشرح بالتفـصيل التعذيب الذي تلقَّتاه على يدها:

- هذه الـ"آندروز" أصبحت مهووسـة بــ"ماريـا"؛ تـضربها، وتعاقبهـا، حتى ولو كانت على فراش الموت.

أُعيدُ تكرار كل هذا لكي لا أنسى اسمها. ما أُريد أن أعرفـه فعـلًا مـاذا عن "شارلوت" و"إيميلي" اللتين في وجه الرِّيح. نهضتُ، أُريد كوبًا من الماء وقُبَّعة، أحضرتهما. أسألها، وأنا على يقين أنني لن أحب ما سأسمعه:

- لماذا كانت "إيميلي" تصوم؟

- لأنها، عكس البعض، لديها أسبابها للموت.

على الرغم من أن كلمات جَدَّتي تُؤلمني، فإنها لا تبدو مُتعمَّـدة، أم أن في عينيها وميض الرِّضا؟ قاومـت رغبـة الاعـتراض؛ فـما يهمُّنـي أن أعـرف قصَّة "شارلوت" و"إيميلي"، فأسألها وكأنني أسأل نفسي:

- كيف شقَّتا حياتهما؟

- بخلق عوالم خيالية معًا. هـذه كانـت لعبـتهما المُفَـضَّلة. فاخترعـت "شارلوت" و"برانويل" عالم "أنجريا"، بينما اخترعـت "إيمـيلي" و"آنـا" عـالم "جوندال". لقد ألفوا كتبهم الصغيرة عن هذه العوالم بحروف دقيقة.

وحكــت لي عــن المُــستنقعات؛ المنــاطق الــصخرية، والمتوحــشة، والمساحات الشاسعة من العُشب، حيث منزلهم الحجري الـذي يحتمـون فيه، لقد خلقوا لهم وجودًا بعيدًا عن فقرهم. تصفهم جَدَّتي بـأنهم كـانوا يكتبـون معًـا في الليـل بعـدما ينتهـون مـن قـضاء أعمالهـم، عـلى ضـوء الفانوس. فانوس، أعتقد أنها كلمة رائعة. قلت بصوت عـالٍ، دون انتظـار شيء:

- أحيانًا يتخلَّى الحُزن عن لونـه الأزرق، بـل يمكننـا أن نتحمـل قلـيلًا نفحاته الأقل حدة. كما لو أن الحُزن، ولو للحظة، يمكن أن يكون جميلًا.

تستمع جَدَّتي، وتبتسم لي مرَّة أخرى، وتستمر في حكايتها:

- في أحد الأيام، اكتشفت "شارلوت" و"إيميلي" وأختهما الصغيرة "آنـا" أن كل واحدة منهن كتبت رواية، وقرَّرن أن ينشرن الروايات تحت أسماء مُستعارة؛ "كورر"، "إلليس"، "آكتون بيل"، لقد اخترن أسماء رجال لإخفاء هويتهنَّ. لم يخبرن أخـاهنَّ "برانويـل" إطلاقًـا، لقـد كـان بالفعـل ضـائعًا بينهن، حتى عندما حقَّقت رواياتهن أحسن المبيعات.

فقاطعتُها:

- كُنَّ يخدعنه، وهن يعرفن ذلك.

- لطالما اعتقدت أنهن يردن حمايته، وربما تكونين على حق.

كان هذا التنازل الصغير منها بمثابة انتصار لي.

- على أي حال، موت "برانويل" حطَّمهن تمامًا. فـ"إيميلي" التي كانـت مصابة بفقـدان الـشهية لـسنوات توقَّفـت عـن الطعـام تمامًـا، ورفـضت الطبيب. وماتت بعد ثلاثة أشهر بالـسُّل، وبعـدها بخمـسة أشـهر ماتـت "آنا".

- إذًا بقيت "شارلوت" وحيدة.

- ليس لوقت طويل، فقد ماتت قبل أن تبلغ التاسعة والثلاثين بشهر، بعد أن نشرت روايتين أُخريين.

بدت عيناها أقل صفاءً، وأعمق، وأكثر غموضًا. أخبرتني بأنني يمكنني الاحتفاظ بالكتاب، لو أردت، فشكرتها. تصفَّحت الكتاب وطلبت منِّي أن أقرأ جزءًا من المقدمة؛ مقتطفًا من رسالة شهيرة. قرأتُها بصوت عالٍ:

- **"المحنة العظمى عندما ينتهي الغروب، ويدخل الليل، ففي هذا التوقيت اعتدنا أن نجتمع معًا في غرفة السفرة، كُنَّا نتحدَّث، والآن أجلس بمفردي، صامتة لا محالة".**

سألتُها:

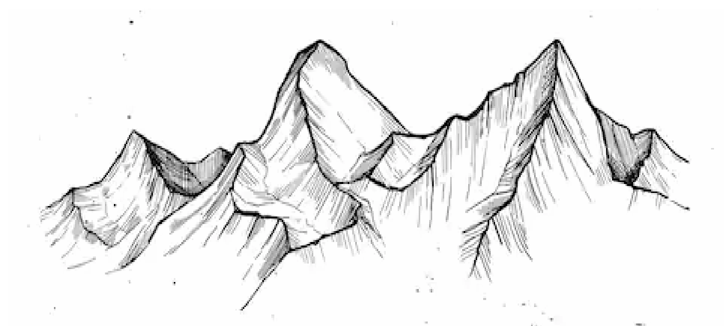
- هل هذه "شارلوت"؟

- نعم، إنها "شارلوت" وحدها في "ويزرينج".

تميل الشمس للغروب الآن، فلم تعد حارقة. تتركني جَدَّتي، ربما فترة ما بعد الظهر الذهبية، غير قادرة على الكلام.



التَّنانين النَّائمة



ضع هذا في اعتبارك في أحداث قـصَّتي؛ كُنـتُ فتـاة صـغيرة وحزينـة، وشبه مُغتربة ذاهبة في رحلة. ليست للنُّزهـة، ولكـن للعمـل، يمكننـي أن آخذ حسابي نقدًا على الفور، بوصفي مُساعدة إنتاج لفيلم وثـائقي. كـان ذلك في يوليو 1992. في تلك الأيام، كُنتُ مُلحدةً، أو بـالأحرى "لا أدريـة"، وفي الواقع، أعترف بـأن قلبـي انفطـر. ومـن ثَـمَّ، نظـرًا إلى مـرارتي، أرجـو الاحتفـاظ بـبعض الـشكوك، وأن تتمهَّـل تجـاه كـل شيء ستـسمعه عـن قصَّتي.

ما زلتُ لا أعلم لماذا عيَّنوني، مع العلم بأنه ليس معي أي خبرة فنيـة. وبصراحة، لم أكن مُهتمَّة بمجال الأفلام الوثائقيـة، ناهيـك عـن العرافـة أو الـسحر الـذي يبـدو أن الآخـرين مهووسـون بـه. هـدفي الوحيـد هـو أن أختفي، ولو استطعت أن أدفع من أجل ذلك، لكان أفضل. قضينا أسبوعًا في سيارة 4×4، مسافرين أوَّلًا من "لاباز" إلى "ثيـوداد دي بيـدرا"، ثـم إلى "كيرفا"، قرية أطبَّاء "كالاوايا".

غادرنا يوم الأحد. كُنَّا ثلاثة؛ المُخرج، والمُصوِّر السينمائي، وأنا. كان معنا مُرشد اسمه "فيكتور". عندما أُخبرت بأننا مُسافرون مع مُرشد، تصوَّرتُ على الفور فتى قصيرًا داكن البشرة، ولكن "فيكتور" كان وجهه به نَمَش، وودودًا، وشعره أحمر. كان ضخمًا، وخُرافيًّا، ولكنه يتصرَّف كأنه من فريق عمل الفيلم، كان هذا هو الشيء الغريب. يتحدَّث بلُغات عديدة دون أن يتظاهر، فمن لغة "الأيمارا" إلى لغة "الكتشوا"، ومن الألمانية إلى الإنجليزية، متجاوزها إلى الإسبانية، ثم إلى "البوكوينا"، لُغة أطبَّاء الدَّجل. انزعجت من مودَّته، وإصراره على الحديث معي، على الرغم من أنه من دون السيجارة التي يُغرم بتدخينها.

انطلقنا في السادسة صباحًا، اقترح "فيكتور" أن نمُرَّ على "كومانشي" لنرى "بويا ريموندي"، نبتة "ملكة الأنديز". فقُلتُ:

- آه.

وأغمضت عينيَّ من وهج الشمس. ومع ذلك، ما زلتُ أسمع صوت "فيكتور".

- يمكننا أن نرى أضخمها، والتي يبلغ عُمرها مائة سنة.

هكذا وعد المُخرج الذي سأله:

- هل فعلًا يبلغ طولها 13 قدمًا؟

- أووووه، إنها قد تبلغ 40 قدمًا، وتطرح حوالي 500 زهرة.

كان صوت "فيكتور" عاليًا يشوبه الارتياب والمُبالغة. قُلتُ في نفسي: "أجل صحيح"، لكننا عندما وصلنا إلى هناك، لم يكن علينا حتى أن نتمشى حول المنطقة؛ فعلى تلٍّ صخري غير مُنتظم تنبت شجرة "ملكة الأنديز"، كأنها ناطحة سحاب. قدَّر زملائي طولها بثلاثين قدمًا، قال المُخرج:

- كأنها أناناس منذ ما قبل التاريخ.

التزمتُ أنا الصمت. تناولنا الطعام، وأخذنا بعض الصور، ثم ذهبنا إلى كنيسة "القديس أنطونيوس الكبير". نمت لفترة جيدة.

عندما استيقظتُ، كان "فيكتور" يقول إن الإله يوجد في هذه الأجزاء، وإن "باتشماما" أم الأرض يمكن أن تُظهر علامات تُعتبر مُعجزات ما زالت الجداريات تحتفظ بها. ذهبنا إلى القرية، وركنَّا أمام الكنيسة، ودخلنا. كانت الجداريات تمامًا مثلما يقال عنها. رمقتها بنظرة غير ورعة سريعة؛ لأنني انتابني دُوار مُظلم، فأسرعت إلى الباب، بحثًا عن النور، فتعثَّرتُ في الفناء. وهناك، من دكة إسمنتية دافئة بأشعَّة الشمس، رأيت شجرة تفاح، شجرة وحيدة يكسو أوراقها الغبار، مُعلَّق بها فاكهة حمراء. إذا كانت هذه علامة خارقة للطبيعة، كما يقول "فيكتور"، فبالتأكيد ليست لي. تقيَّأت في الأصيص، واستندت إلى جذع الشجرة. أحضر

"فيكتور" لي بعض الماء، ودلَّك جبيني بقماشة مُبلَّلة، ودلَّك عُنقي بحريـة، كأننا صديقان، لم أكن في حالة مزاجية تُؤهِّلني لأقـول شُـكرًا. صـوَّرنا، ثـم رحلنا. بعد ظهر ذلك اليوم، توقَّفنا في قرية "كاكويافيري". القرية هادئـة، والشوارع مهجورة. كانت لدى "فيكتور" فكرة، فقال:

- يا لي من مغفل، دعونا نُجرِّب حلبة المُصارعة.

فأصبحنا جميعًا هناك. الباصات الصغيرة كانت تنتظر بجوار الميـدان. رقصوا عندما أخرجوا الثور. مُصارع الثيران يرتدي صندلًا، ويُلوِّح بوشـاحه الصوفي المُلوَّن، ويُصارع الثور مُحاولًا الحصول على كيس النقود المُعلَّق في رقبته. يصيح الجمهـور. أخـذ المُـصوِّر عـددًا محـدودًا للـصور الـسينمائية بـسرعة؛ لأننـا اكتـشفنا أن مـزج الكحـول بالـديناميت قـد يكـون قـابلًا للاشتعال بكل بساطة.

في تلك الليلة، على امتـداد طريـق وحيـد، أعلـن "فيكتـور" أن هنـاك يرقد التنِّين النائم؛ جبل مُحيِّر من الصعب أن تراه. القمر مُكتمـل، أُقـسم أنني استطعت أن أراه، التِّنِّين، يخلف خيالًا وراءه في السماء، مُتمدِّدًا على الأرض. بالطبع كُنتُ مُلتزمة الصمت. نجحت أخيرًا في أن أغفو، غارقـة في حلم مضطرب ومُدمِّر وخارق للطبيعة. حتى وصلنا إلى "ثيوداد دي بيرا"، أخبرنـا "فيكتـور" أن لعنـة "إينكـا" حوَّلـت المدينـة إلى حجـر. حكايتـه

سخيفة. عُدنا إلى "لاباز". وبعد أيام عديدة، انطلقنا مرَّة أخرى إلى "كيرفا". رحَّب بي "فيكتور" بحماس، وصافحني، وسألني:

- حلمتِ بالتِّنِّين، أليس كذلك؟

هززتُ رأسي، وأنا أشعر بالخجل. أراد المُخرج أن يسير مُباشرةً إلى محمية "أولا أولا" البيولوجية. تكلَّم "فيكتور" بلا انقطاع، وهو ينظر إليَّ في مرآة الرؤية الخلفية. عيناه خضراوان. قال إن "توانا" قرب "تشارازاني"، التَّل الذي أخفى مدينة "ألدورادو". أخبرنا أنه ذات مرَّة في "كيرفا"، في مهرجان، سكر فلاح من قرية "أماريت" سُكرًا عميقًا حتى أخذ في الرقص وإلقاء أصابع الديناميت في الهواء حتى تمزَّقت ذراعه إلى أشلاء. وأردف "فيكتور" أن أطبَّاء "كالاوايا" ضمَّدوا الذراع بقماشة مليئة بالأعشاب، وقال:

- بعد سنوات عديدة، قابلته وقد التأمت ذراعه تمامًا.

كانت محمية "أولا أولا" منطقة لحماية حيوان "الفيكونيا"، فقال المُصوِّر السينمائي:

- إنها مُلائمة للتصوير.

تناولنا في الغداء حيوان "الفيكونيا". أخبرونا في المعسكر:

- هذا الحيوان ابتلع صخرة حتى مات خنقًا.

في اليوم التالي، أكلنا "الفيسكاتشا"، حيث علقت رأس ذلك الحيوان القارض، مثله مثل قارض "الشنشيلة" طويل الأذن، يتدلى من النافذة. فقال المُصوِّر مازحًا:

- أليس شكله جميلًا؟

وقد لاحظ أنني أكاد لا ألمس الطعام. جلس "فيكتور" بجواري، وخفية، دفع قطع اللحم بعيدًا عن طبقي. قرَّرنا أن نجلس في الخارج تحت أشعَّة الشمس. سارت السيارة 4×4 بسهولة، وما إن قطعنا حوالي 300 قدم على الطريق حتى توقَّف الموتور. فأرجع المُخرج السيارة إلى الخلف، حتى وصلنا إلى منعطف فاشتغل الموتور مرَّة ثانيةً. قال "فيكتور" لكي تصل إلى "كيرفا" يجب أن تُؤمن، لا يمكن أن تصل إلى هناك ما لم تكن مُؤمنًا. اشتغل الموتور، وما إن قطعنا 300 متر حتى توقَّف، وهكذا مرَّات عديدة. غيَّرنا القيادة. فمرَّة أعطى المُخرج عجلة القيادة لـ"فيكتور"، ومرَّة للمُصوِّر، ولكن لم نتحرَّك أكثر ممَّا تحرَّكناه من قبل. فتحوا غطاء السيارة ليُفتِّشوا عن العُطل، على الرغم من أنه من الواضح أنه ليس هناك عُطل ميكانيكي. وقفت على جانب الطريق، يداي في جيوبي، للمرَّة الأولى منذ أن بدأنا الرحلة، دون مُقاومة. جاء "فيكتور" خلفي مُباشرةً، وقال:

- "كالاوايا" تُعالج من أي شيء، هل تعرفين ذلك؟

وكان همسه في رقبتي، وأنفاسه تخترق جسدي، من قمَّة رأسي حتى أخمُص قدميَّ. قال:

- يمكن أن أذهب معكِ لنكتشف ذلك.

وتوقَّف بطريقة وتَّرتني. وأردف:

- ولكنكِ ستوشكين أن تقولي أرجوك.

حاول المُخرج أن يُجرِّب الذهاب إلى "كيرفا" مرَّة أخرى، قبل الدوران والعودة إلى المدينة. قال "فيكتور" إنه سيقود، أجلسوني في المقعد الخلفي. هذه المرَّة كانت عيناي في مرآة الرؤية الخلفية، بينما اشتغل الموتور، وسرنا بحيث اختفت آثارنا على الطريق خلفنا.



ساعة يد، كُرة قدم، فنجان قهوة



تعلَّم في سن السادسة أن يُحدِّد الساعة، ويحسب بالخمسات: خمسة، عشرة، خمس عشرة، عشرون، وهكذا حتى السِّتِّين. كان دائمًا يسأل: "هل حان الوقت بعد؟" بكثرة حتى أعطاه جَدُّه ساعة يد كي يُريحه. منحته تلك اللحظة الحاسمة وعيًا كئيبًا بمرور الوقت.

- إنها كبيرة عليك.

- ليس لهذه الدرجة يا جدي.

وضع الجَدُّ إصبعين بين حزام الساعة ومعصم الطفل الرَّقيق، وابتسم:

- أعطني إيَّاها، سنخرم خُرمين في حزام الساعة.

جعل الصَّبيُّ الساعة تنزلق من معصمه حتى وصلت إلى ساعده تمامًا، مثل سُوار كابتن كُرة القدم.

- أعطني إيَّاها.

فأعطاها الصَّبيُّ له. مع صوت صـفير الكُحَّـة الـشديدة، اسـتدار نحـو الحائط الفاصل بينهما والغرفة المجاورة. نادى:

- ماما؟

وراح يدعو من أجل ارتياح مُؤقَّت على الأقل مـن اللُّهـاث الـذي بـدا كأنه اختناق. وضع الجد يده على رُكبته.

- هل تعلم أن الطيَّارين في المرَّة الأولى ارتدوا سـاعاتهم مثلـك تمامًـا؟ لقد استخدموا رباطًا ليربطوا به ساعة الجيب بأرجلهم أو أيديهم.

هزَّ الصَّبيُّ رأسه.

- في تلك الأيام، لم يكن في الطائرات أدوات، فلم توجـد هنـاك سـاعة يد، لذا صنعوا أدواتهم الخاصَّة. ما رأيك في هذا؟

- مُخيف.

قالها الطفل وقد اتَّسعت عيناه، مُتعطِّـشًا لـسماع المزيـد، مُحـاولًا أن ينسى الكُحَّة. فقال الجد وفي صوته سيطرة دافئة:

- كانوا شجعانَ. لا تقلق، كل شيء على ما يُرام.

- هل يمكنني أن ألبسها في المدرسة؟

- نعم.

- جدي!

- همممم؟

كان الرجل العجوز يخرم حزام الساعة بسكِّين.

- أريد أن ألعب حارس مرمى.

- ولكنني اعتقدتُ أنك تريد أن تكون مُهاجمًا.

ورفع عينيه من على جلدة الساعة، وأردف:

- هل ذلك بسبب رجلك؟

فنظر الطفل إلى السَّقف:

- لا، نعـم، حـسنًا... بـسبب العـرج الـذي في رجـلي يـا جـدي، إنهـم يضحكون عليَّ.

- وماذا في ذلك؟ كان "جارينشيا" العظيم مُصابًا بشلل الأطفال مثلك. بل وكان مُصابًا بما هو أكثر من العـرج، بـالتواء الـسَّاقين، والتـواء العمـود الفقري، وفوق كل ذلك كان قبيحًا.

وضحك الرجل العجوز بصوتٍ عالٍ.

- لكن يا جدي أنا لستُ "جارينشيا"، ولا ألعب في نادي "بوتافوجو".

- تُريد الأهداف أم لا؟

- نعم.

- عظيم، إذًا اتَّفقنا. هذا هو الـشيء الوحيـد الـذي يهـمُّ، وإذا ضـحك عليك أي شخص، أوسعه ضربًا. فهل تدرَّبنا على كل هذا للا شيء، أم أنـك خائف جدًّا؟

- لا يا جدي!

- هذا هو ولدي!

أعطاه الطفل ابتسامة خجولة حزينة. في الغرفة المجاورة، نوبة أخرى من السُّعال جعلت سوستة السرير تئِنُّ. ظل الاثنان صـامتين، وبـلا حـراك للحظة، حتى ساد الهدوء مرَّةً أخرى. وقال الصَّبيُّ بهدوء:

- جدي، ألم يحِن الوقت بعد؟

فردَّ الرجل العجوز، دون أن ينظر في الساعة:

- ليس بعد.

تناول الصَّبيُّ الفنجان النحاسي من على المنضدة الخشب، وأخذ رشفة من القهوة. لقد علَّم الرجل العجوز الصَّبيَّ كيف يشرب القهوة منذ الصِّغَر.

- هل سبق لك أن سافرت بالطائرة؟

- لا.

- وهل ستفعلها؟

- لا أدري، ربما.

- هل سأفعلها أنا؟

- أنا متأكد أنك ستفعلها.

- هل تحب الطيران؟

- لا أعرف.

ردَّ وهو يُثبِّت الساعة في معصمه، وأردف:

- هيَّا، دعني أُغلق إبزيمها.

- جدي؟

- ماذا؟

- لا تذهب.

- دعنا ألَّا نبدأ ذلك مرَّةً ثانيةً.

- لماذا لا أستطيع أن أذهب معك في الشَّاحنة؟ أعدك بأنني سأعتني بماما، ولن أتسكَّع بكُرة القدم.

فقال الرجل العجوز، وهو يلمُّ الشعر الناعم الساقط على عيني الصَّبيِّ:

- هكذا أفضل.

- أُريدك ألا تذهب.

- لا تبكِ، أنت رجل الآن.

وكان صوته صارمًا ولطيفًا.

- غير صحيح، أنا في السادسة فقط.

أخرج الجد منديلًا أبيضَ ومسح أنف الصَّبيِّ.

- لماذا لا أذهب معك إلى المنجم؟ ماما أيضًا يمكنها أن تذهب.

- المنجم ليس مكانًا مناسبًا لامرأة مريضة.

ودسَّ رُزمة من الأوراق المالية المطوية في جيب الشورت.

- خذها معك، حتى أعود.

- ماذا لو أنها...

- ستكون بخير، إنها قوية، أنت تعرف جيِّدًا كيف تجعلها تضحك.

وراح الرجل العجوز يشرب القهوة من الفنجان النحاسي. بدأت الغرفة تدخل في الظلام عندما بدأ ما بعد الظهر في الزَّوال، ظلام وبرد.

- جدي.. هل أنت خائف؟

وقد بدت عينا الرجل في غاية الاحمرار.

- لا.

استمرَّ في شُرب القهوة. فقال الصَّبيُّ بصوتٍ مُرتعش:

- ولكنني خائف، لا أُريد أن أبقى وحدي.

- لن تكون.

فقال بصوتٍ مُنكسرٍ:

- أنت كبير... ولكن لو أنك...

- هُششش، سأكون بخير، أعدُكَ...

رفع الصَّبيُّ رأسه ونظر إليه، بجدِّيَّة. فهو يعرف أن لا أحد يعـد بأنـه لن يموت.

- هل ستعود بسُرعة؟

- لقد أعطيتك كلمتي.

وبدت عيناه زرقاوين كالسَّماء بعد تساقط الجليد.

- سوف أعود بسُرعة، وسأُحضر لك كُرة قـدم مـن جلـد متـين، فهـذه بدأت تتلف تمامًا.

وقف الجد، وأضاء النور، ودخل إلى الغرفة الأخـرى، نظـر الـصَّبيُّ إلى ساعته. بعد فترة خرج الرجل العجـوز مُرتـديًا معطفـه، وقُبَّعتـه في يـده. سار الاثنان معًا إلى الخارج حيث الشارع.

- هل ستستمر في تصويب الكُرة لتسجيل الأهداف؟

ردَّ الصَّبيُّ قبل أن يُكمل الرجل العجوز كلامه:

- نعم، مثل "جارينشيا".

- عظيم.

أخذه تحت ذراعـه. بـدأ الرجـل العجـوز في تـشغيل سـيارة "فولفـو" موديل 1933 خضراء، تم الحفاظ عليها بشكل جيِّد عـلى أيـديهما. جـرى الصَّبيُّ نحو الساحة وهو يركـل الكُـرة. بـدأ في البدايـة بتـسديد ضربـات خفيفة بتأنٍّ، ثم سدَّد بكل قوَّته. أنفاسـه عبـارة عـن سـحابات بيـضاء في الجو البارد.



الفهرس

صدر من سلسلة كتب مختلفة:

.1	اسمي نور	إلسا أوسوريو	الأرجنتين
.2	كلي لك	كلاوديا بينيرو	الأرجنتين
.3	أرامل الخميس	كلاوديا بينيرو	الأرجنتين
.4	جريمة في بوينس آيرس	كلاوديا بينيرو	الأرجنتين
.5	نقطة الصفر	ناريج ماليان	أرمينيا
.6	مشروع روزي	جرايم سيمسيون	أستراليا
.7	علاقات دولية	إلييت إليكا	ألبانيا
.8	قصص بسيطة: رواية من ألمانيا الشرقية	إنجو شولتزة	ألمانيا
.9	لأننا في مكان آخر	رشا الخيَّاط	ألمانيا
.10	حب كالأفلام	فيكتوريا فان تيم	أمريكا
.11	أفلام في قصص	مجموعة مؤلفين	أمريكا
.12	الثلاثة	سارة لوتز	إنجلترا
.13	اليوم الرابع	سارة لوتز	إنجلترا
.14	الموت والبطريق	أندريه كيركوف	أوكرانيا
.15	تاتي	كريستين دوير هيكي	أيرلندا
.16	جريمة الساحر	أرني ثورارينسون	أيسلندا
.17	شركة الحب المحدودة	أندريه سنار ماجنسون	أيسلندا
.18	الحب لم يعد مناسبًا	ميلا فينتوريني	إيطاليا
.19	حذارِ من جوعي	لوتشانا كاستيلينا	إيطاليا
.20	سارق الجثث	باتريسيا ميلو	البرازيل
.21	امرأة في حقيبة	رافاييل مونتيز	البرازيل
.22	بيتنا في إزمير	تاتيانا سالم ليفي	البرازيل
.23	كابوس ساو باولو	أنطونيو شيرشينيسكي	البرازيل
.24	مقبرة البيانو	جوزيه لويس بايشوتو	البرتغال
.25	نيزك في جالفايش	جوزيه لويس بايشوتو	البرتغال
.26	الأثر المقدس	إيسا دي كيروش	البرتغال
.27	الأشياء الماضية	برونو فييرا	البرتغال
.28	أن تأتي متأخرًا	ديميتري فيرهولست	بلجيكا
.29	صانع الملائكة	شتيفان بريجش	بلجيكا
.30	مخاوفي السبعة	سلافيدين أفيدتش	البوسنة

31. جامع الكتب	جوستابو فابيرون باترياو	بيرو
32. أبسنت	أيفر تونش	تركيا
33. أحلام محطمة	بيولانت سينوكاك	تركيا
34. ارحل قبل أن أنهار	تونا كيرميتشي	تركيا
35. امرأة صديقي	تونا كيرميتشي	تركيا
36. توباز	هاكان جنيد	تركيا
37. ثلاثة على الطريق	تونا كيرميتشي	تركيا
38. جريمة في البوسفور	أسمهان أيكول	تركيا
39. جريمة في إسطنبول	أسمهان أيكول	تركيا
40. خطايا الأبرياء	برهان سونميز	تركيا
41. ديستينا	ماين كيركانات	تركيا
42. الشيطان امرأة	هاندي ألتايلي	تركيا
43. الصلوات تبقى واحدة	تونا كيرميتشي	تركيا
44. لون الغواية	هاندي ألتايلي	تركيا
45. مينتا	سولماز كاموران	تركيا
46. نساء إسطنبول	مجموعة قصصية	تركيا
47. سحر	صلاح الدين دميرتاش	تركيا
48. المزيد	هاكان جنيد	تركيا
49. الرجل الذي باع العالم	ألبير چانيجوز	تركيا
50. المدينة ذات العباءة القرمزية	أصيلي إردوغان	تركيا
51. جرائم براج	ميلوس أوربان	التشيك
52. معسكرات الشيطان	يواقيم توبول	التشيك
53. حدث في كراكوف	بيترا هولوفا	التشيك
54. حُفِظت القضية	باتريك أورشانديك	التشيك
55. ديتوكس	سوزانا برابتسوفا	التشيك
56. سرادق طائر البطريق	إميل هاكل	التشيك
57. كافكا	فرانز كافكا	التشيك
58. المواطن فانيك	فاتسلاف هافل	التشيك
59. احذري يا آنا	ماريك سينديلكا	التشيك
60. المبعدون	أوجنين سباهيتش	الجبل الأسود
61. العقل المدبر	دافيد أوجنر	جواتيمالا
62. بال خال	أولجا سلافينكوفا	روسيا
63. رسائل سبتمبر	بيروني رحيم	زيمبابوي

.64	امرأة للبيع	أورشولا كوفاليك	سلوفاكيا
.65	خلف طاحونة الجبل	مجموعة قصصية	سلوفاكيا
.66	يوغوسلافيا.. أرض أبي	جوراي فوينوفيتش	سلوفينيا
.67	الحياة هنا	ميرال قريشي	سويسرا
.68	ربيع البربر	يوناس لوشر	سويسرا
.69	كرافت	يوناس لوشر	سويسرا
.70	بكين.. بكين	شيو تسي تشين	الصين
.71	بنات الصين	يي مِاي	الصين
.72	الربع الأخير من القمر	تشيه زيه جيان	الصين
.73	رحلة الانتقام	جوو دا شين	الصين
.74	سبع ليالٍ في حدائق الورد	يي مِاي	الصين
.75	النجمة الحمراء	يركسي هولمانبيك	الصين
.76	رقصة الكاهنة	جين رن شون	الصين
.77	الألفية في بلجراد	فلاديمير بيستالو	الصرب
.78	المغفلون	إريك نويوف	فرنسا
.79	جريمة في باريس	صوفي إيناف	فرنسا
.80	الأخ الأكبر	ماهير جوفين	فرنسا
.81	المجاعة البيضاء	آكي أوليكانين	فنلندا
.82	التطهير	صوفي أوكسانين	فنلندا
.83	اعترافات مؤجلة	ميجيلا بودوين	فنزويلا
.84	النسيان	إيكتور آباد	كولومبيا
.85	أين أنتِ؟	سانتياجو جامبوا	كولومبيا
.86	حياة على باب الثلاجة	أليس كويبرز	كندا
.87	صانع الزجاج	إيرميس لافازوناوفسكي	مقدونيا
.88	القنَّاص	بلايز ماينفسكي	مقدونيا
.89	الواحد والعشرون	توميسلاف عثمانلي	مقدونيا
.90	القزم	أليكساندر بروبوكيف	مقدونيا
.91	د. مينجوس.. الأخ الأكبر	خيسوس ريكاردو فيلكس	المكسيك
.92	إلينج	إنجفار أمبيورنسون	النرويج
.93	صيف بارد جدًّا	روي ياكوبسن	النرويج
.94	سميته كرافتة	ميلينا ميشيكو فلاشر	النمسا
.95	حرية حزينة	فريدريكا جيزفاينر	النمسا
.96	ف.و.م.و	ألموت تينا شميت	النمسا

97. دكّان الساري	روبا باجوا	الهند
98. جوي سبيدبوت	تومي فيرينيجا	هولندا
99. العشاء	هيرمان كوخ	هولندا
100. المنزل الصيفي	هيرمان كوخ	هولندا
101. تلك الأسماء	تومي فيرينيجا	هولندا
102. عقيدة الأغنياء	ماريا تاسلر	كرواتيا
103. أفكار سيئة	لويد ميركام	ويلز
104. أيتام ذهبيون	جاري ريموند	ويلز

صدر من كتب عامّة:

105. الرجل والمرأة أيهما الجنس الأضعف؟	جيرالد هوتر	ألمانيا
106. قانون التسامح	هوبرتس هوفمان	ألمانيا
107. هاربون من الموت	فولفجانج باور	ألمانيا
108. المختطفات: شهادات من فتيات بوكو حرام	فولفجانج باور	ألمانيا
109. الشاي: ثقافات وطقوس وحكايات	كريستوف بيترز	ألمانيا
110. الهاشميون وحلم العرب	روبرت ماكنمارا	أمريكا
111. الهندي الأحمر الأيسلندي	جون جنار	أيسلندا
112. القرصان الأيسلندي	جون جنار	أيسلندا
113. مختصر تاريخ الصين	مايكل ديلون	الصين
114. زيارة لمكتبات العالم: تاريخ مكتبات بيع الكتب	خورخي كاريون	إسبانيا
115. يوميات صحفية إيطالية	جوفانا لوكاتيلي	إيطاليا
116. الذكاء الأخضر	ستيفانو مانكوسو	إيطاليا
117. خيالات الشرق	إيسا دي كيروش	البرتغال
118. ضد الانتخابات: دفاعًا عن الديمقراطية	دافيد فان ريبروك	بلجيكا
119. أوروبيانا	باتريك أورشادنيك	التشيك
120. قوة المستضعفين	فاتسلاف هافل	التشيك
121. النشوة المادية	جي. إم. لو كلوزيو	فرنسا
122. لن أمنحكم كراهيتي	أنطوان لاريس	فرنسا
123. جابو	أوسكار بانتوخا	كولومبيا

124. الجري	ثور جوتاس	النرويج
125. عقول مريضة	دوي درايسما	هولندا
126. اللعب مع الكبار	يوريس لونديك	هولندا

يصدر قريبًا: من سلسلة كتب مختلفة:

127. بيلبورت: قصة مدينة	جيفري لويس	أمريكا
128. سيلفي مع الشيخ	كريستوف بيترز	ألمانيا
129. لا صديق سوى الجبال	بهروز بوجاني	إيران
130. شرخ في الحائط	كلاوديا بينييرو	الأرجنتين
131. شمس الحرية	آنا ماريا ماتشادو	البرازيل
132. طلاق على الطريقة التركية	أسمهان أيكول	تركيا
133. جدتي وبريتني سبيرز	لونا الموصلي	سويسرا
134. لم يبقَ أحد	أندريس فورجاتش	المجر
135. يوم هنا ويوم هناك	أجيولار كامين	المكسيك
136. روميو جولييت في البلقان	ديان ترايكوسكي	مقدونيا
137. أختي قاتلة متسلسلة	أوينكان برايزوايت	نيجيريا
138. لا سوبيربا	إليا ليونارد	هولندا

#كتب_مختلفة #بوليفيا



في هذه المجموعة القصصية فانتازيا مختلفة، بين فتى يحاول أن يتحدى أمه وألا يكون صادقًا معها، وبين فتاة تسافر إلى بوينس آيرس لتشفى من معاناتاها النفسية والجسدية بالكتابة، وعن شعور الخزي الذي يلي الحب من النظرة الأولى، ورجل يعالج دموعه وحزنه الأبدي بـ"حمام الملح"، والفتاة التي ماتت وقت تنصيبها ملكة جمال، والفتاة ذات صداع مزمن من نوع نادر، والزمن الذي يغير مصير عاملة فندق ويجعلها تتنازل عن هويتها وتضطر أن تفقد حب عمرها في موطنها الأصلي، ورجل يذهب إلى ليلة الافتتاح على أمل أن تتغير حياته، وفتاة حبيسة حجرتها آملة في الخروج إلى العالم المنفتح، وقرب العلاقات ومتانتها حول موائد الطعام، وكرة القدم التي تجمع الجد بحفيده، وغيرها من القصص المثيرة .

من خلال المُشاهدة الدقيقة لهذه الحكايات التي تعد أول مجموعة قصصية لنا من بوليفيا، تجد تشابهات كثيرة بيننا وبين ما يحدث في هذه القصص. وعلى الرغم من غرابتها، لكنها سهلة ومفهومة تتركك بمشاعر وأفكار كثيرة حول ذاتك، فكل قصة تمس كلًا منا بشكل مختلف بما يتناسب مع أفكاره وتجعل كلًا منا يفكر في بساطة القصة وعمق المعنى. إننا نصل إلى آخر صفحة من كل قصَّة من قصص "بودوين" لنسأل أنفسنا: ما القصَّة وراء هذه القصَّة؟



ماجيلا بودوين

كاتبة، وصحفية، ومُدَرِّسة في الجامعة البوليفية. وُلدت في كاراكاس بفنزويلا عام **1973**، وتقيم في "سانتا كروز دي لا سييرا" ببوليفيا منذ **2005**. تدرِّس دبلومة الكتابة الإبداعية في جامعة سانتا كروز الخاصة. صدر لها كتاب تحت عنوان "نساء من كوستادو" في عام **2010**. نُشرت هذه المجموعة القصصية بعنوان "تكوين الملح" في عام **2014** وفازت بجائزة "جابرييل جارسيا ماركيز لمنطقة أمريكا اللاتينية" لعام **2015**. وفازت روايتها الأولى، "صوت الـ هـ"، بالجائزة الوطنية للرواية في عام **2014** .



60 شارع القصر العيني 11451 - القاهرة
ت: 27954529 - 27921943 فاكس: 27947566
www.alarabipublishing.com.eg



